الزُّهْدُ بَعْدَ المُجُوْنِ

مُقَارَبَةٌ فِي شِعْرِ الزُّهْدِ عِنْدَ أَبِيْ نُوَاس

دار نون للطباعة والنشر والتّوزيع
© جميع الحقوق محفوظة
رقم الايداع بدائرة الكتب والوثاق الوطنية في بغداد (@@@) لسنة (2018)
الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبر عن وجهة نظر المؤلف
E-mail : muhammedyounes518@gmail.com

هاتف +964 773 455 2537

في يومٍ ما من أيامي السالفة

وبينما أنا غارق بالصدى

أيقظني صوت طفلةٍ، تَغْزِلُ من خيوط الشمسِ

حدائق للندى . . .

وهمستْ بروحي "أحبك وحدك"

. . . . . **زوجتي الغالية**

وحين أدكُّ خطايَ

قبل الأوان . .

أضارعُ فعلَ الذكرياتِ

وأنهلُ مِنْ شَجَرِ اليَاقُوتِ

ما يُشَذّرُهُ القَدرُ . . . زمُرداً أو جُمان

والعراقُ يَمشي فِي مُستقرٍ لَهُ

يَرتَوي مِن ظَلامِ جُبّهِ

ثمُ يمضي . . فِي أمان

ابنتاي . . يَمَن وَشَام

ثبت المحتويات

الموضوع ..... الصفحة

الإهداء..... 3

المحتويات..... 5

المقدمة..... 9

التمهيد..... 15

الزهد لغة..... 15

الزهد اصطلاحاً..... 17

أقسام الزهد..... 19

أبو نواس: اسمه وكنيته..... 25

ميلاده وسنه ووفاته..... 27

حياته ونشأته..... 29

صفاته.....39

اجتماعه بوالبة..... 41

شعره..... 45

الفصل الأول: زهد أبي نواس آراء ونظرات..... 53
المبحث الأول: حقيقة زهد أبي نواس..... 53
المبحث الثاني: موضوعات الزهد في شعر أبي نواس 85
ذكر الموت..... 86
ترك الذنوب والمعاصي..... 97
عفو الله عز وجل..... 101
الحكمة..... 109
الدعوة إلى العمل الصالح..... 114
التقوى وخشية الله..... 117
ترك الدنيا والعزوف عنها..... 122
الدعاء وضرورة الطلب من الله وحده..... 125
التفكر في خلق الله..... 127
الوقار والرضا..... 129
الفصل الثاني: الخصائص الفنية لشعر الزهد عند أبي نواس..... 133

المبحث الأول: اللغة 141
1- المفردات (الألفاظ)..... 142
2-التراكيب..... 148
أ-الجملة الفعلية والإسمية..... 148
ب- الجملة الخبرية والإنشائية..... 155
الإنشاء الطلبي..... 156
الإنشاء غير الطلبي..... 166
المبحث الثاني: الصورة..... 169
الصورة في شعر الزهد عند أبي نواس 176
المبحث الثالث: الموسيقا (الإيقاع)..... 185
الموسيقا في شعر الزهد عند أبي نواس..... 189
الخاتمة 207
المصادر والمراجع..... 215

المُقَدِّمة

الحمدُ لله الواهبِ الإنسانِ عقلاً، والصلاةُ والسلامُ على نبينا محمد المثل الأعلى، ورضي الله سبحانه وتعالى على آله وأصحابه ذوي الخلق الأسمى.

وبعد:

صار بالإمكان القول إنَّ المعاييرَ التي حددَها النقدُ العربيُّ قديماً وحديثاً في تمييز الشعراء والحكمِ على أشعارهم أما بالجودة أو الرداءة ربما تضع أبا نواس في مقدمة الشعراء الفحول الذين عرفهم الأدب العربي منذ نشأتِهِ، إذ كان أبو نواس وما يزال في أذهان كثيرٍ من النقاد ومتذوقي الشعر العربي صرحاً إبداعياً أوغلَ في فنون المعرفة مرتكزاً بذلك على ما لديه من انطباعات وأفكار فلسفية عن الوجود تركت بصمتها في شعره العام على اختلاف المعاني والموضوعات التي نظمَ فيها، وتجسدت في الكثير من المعاني والأغراض التي خاض فيها وكتب فيها ورصدها بدلائله الإبداعية الخاصة.

واختلفَ الدارسون في نتاجه الشعري بين مؤيدٍ ومنتقصٍ ولكنهم اتفقوا جميعاً على أن أبا نواس يعد واحداً من أبرز شعراء العصر العباسي، كما أنه يعد من أبز الشعراء الذين كتبوا في الخمريات في الأدب العربي، فضلاً عن أنه يعد حاملاً للواء

التجديد والتمرد والحرية والخروج عن السياق التقليدي للنص، فربما يتجسد ذلك الأمر فيما دعا اليه أبو نواس في ثورته على الإطلال ورسم الديار والبكاء عليها وإدخال التصورات الفلسفية وتنوع الموضوعات والأوزان في بنية الشعر.

ومن المعروف أن اسم الشاعر أبا نواس اقترن بشكل كبير مع المجون والخمريات والخلاعة، فلا يكاد يذكر أبو نواس إلا وتذكر معه الخمور والمجون والخلاعة وتعلقه بالغلمان والجواري وغير ذلك مما يشتبه به في قصر الخليفة من أمور، ورغبةً منّي في الاطلاع على حياة هذا الشاعر الكبير والدخول في قلعة أفكاره الفلسفية أخذتُ أفكِّرُ في جانب النواسي المشرق " إنْ وجِدَ " إلا وهو شعره الزهدي، فقد وقعت على الكثير من القصائد التي وردت في باب الزهد من شعره، فثمة حقيقة تؤكد أن أبا نواس تزهد كثيراً في أخريات حياته وكتب العديد من قصائد الزهد التي تعد من أمات قصائد الزهد في الشعر العربي، فتولدت لدي رغبة في الخوض في هذا الموضوع:(أبو نواس زاهدا) إذا يمثل هذا العنوان الرؤية الانطباعية الأولية التي عرفتها عن أبي نواس التي شكلت فيما بعد سياقاً موضوعياً فاعلاً يتمحور حول قدرة الشاعر على نسخ التصورات والأفكار التي بنيت في مخيلة القارئ عنه، فيكون التحول من المجون إلى الورع، ومن الخلاعة إلى الزهد والتقوى والصلاح.

يبدأ الكتاب بمقدمة والتمهيدٍ الذي تناولنا فيه محورين أساسين هما: الزهد من حيث تعريفه لغةً واصطلاحاً وآراء أبرز العلماء والفقهاء والمفسرين فيه، كما تناولنا التقسيمات التي يقسم عليها الزهد مستشهدين بالآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة التي تناولت معنى الزهد، أمَّا المحور الثاني من التمهيد فجاء مختصاً بالتعريف بأبي نواس، كنيته، وأسمه وميلاده ووفاته، وأهم الآراء التي قيلت تاريخ مولده وفاته، وتناولنا في هذا المحور كذلك حياته ونشأته وصفاته التي تميز بها عن غيره، وكان لقاءه بوالبة بن الحباب الاسدي بمثابة نقطة التحول في حياة النواسي لذلك أفردنا لهذا الموضوع مدخلاً خاصاً وهو " اجتماعه بوالبة " ومن ثمَّ تناولنا شعره مروراً بأبرز الموضوعات التي نظم فيها أبو نواس وأهم الآراء النقدية والأدبية التي قيلت في شعره وشخصيته.

أمَّا في الفصل الأول فيقسم على مبحثين أولهما: في حقيقة زهد أبي نواس من عدمها إذ تناولنا فيه عرض مفصل لزهد أبي نواس وأبرز الآراء النقدية التي قيلت في حقيقة زهده تحت عنوان " **زهد أبي نواس آراء ونظرات** "، وثانيهما: عن ابرز الموضوعات والمعاني التي تناولها أبو نواس في شعره الزهدي " **موضوعات الزهد في شعر أبي نواس** " كذكر الموت والحكمة وترك الذنوب والمعاصي وعفو الله عزَّ وجلَّ والرضا والوقار وترك الدنيا

والعزوف عنها كما في تقوى الله وخشيته والدعاء والتفكر في خلق الله ، أمَّا الفصل الثاني فقد كان مخصصاً لدراسة شعر أبي نواس الزهدي دراسةً فنية تحت عنوان " الخصائص الفنية لشعر الزهد عندَ أبي نواس " وتم تقسيم هذا الفصل على ثلاثة مباحث أما الاول فهو مختص بدراسة اللغة ويقسمُ بدوره على قسمين الاول هو المفردات والألفاظ حيث يختص بدراسة المفردات والألفاظ التي تناولها أبو نواس في شعره الزهدي وقد استعنا في تحليلها بالمعاجم العامة كالعين للخليل ولسان العرب لابن المنظور وتاج العروس وغيرها من المعاجم أما القسم الثاني من المبحث الاول فهو التراكيب وتكون دراستها لغوية نحْوية نتعرف من خلالها على ابرز الأساليب التي استعان بها أبو نواس في التعبير عن خلجاته الإيمانية في شعره الزهدي ،أمَّا المبحث الثاني من الفصل الثاني فهو " الصورة " حيث تناولنا في هذا المبحث أبرز الظواهر والفنون البلاغية التي استخدمها أبو نواس في شعره الزهدي كالاستعارة والتشبيه والتكرار والجناس والمجاز وغيرها من الفنون البلاغية، أمَّا المبحث الثالث فقد كان خاصاً بالموسيقا والإيقاع حيث تناولنا فيه التناغم الحاصل بين أبيات القصيدة الواحدة من توافق الروي والقافية وانتظام البحر وقوة إيقاعه واستخدام التصريع وغير ذلك من جوانب تشكل بنية الموسيقا الخارجية للنص وأمَّا الموسيقا الداخلية فتناولنا

فيها أبرز اللوحات الموسيقية التي تشكَّلتْ و برزت في شعر أبي نواس الزهدي من خلال التناغم الحاصل بين حروف الكلمة الوحدة وتوافق الأصوات فيما بينها.

ومن أهم المصادر التي تمَّتْ الاستعانةُ بها في إتمام هذا البحث فأولها ديوان أبي نواس ومن ثم الدراسات التي اختصت بسيرة أبي نواس وشعره ككتاب " أبو نواس في تاريخه وشعره ومباذله وعبثه ومجونه لأبن منظور المصري صاحب اللسان وكتاب "أبو نواس ومشاهير الأدب" لإلياس عشِّي وكتاب الدكتورة أحلام الزعيم الذي بعنوان " أبو نواس بين العبث والاغتراب والتمرد"، كذا استعنا بكتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة وكتاب العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده لابن رشيق القيرواني وكتاب الزهد لهاد بن السري فضلاً عن كتابي الجاحظ البيان والتبيين والحيوان الشعر والشعراء في العصر العباسي لمصطفى الشكعة ومجموعة من كتب التفاسير والمعاجم اللغوية كالعين ولسان العرب وتاج العروس ومختار الصحاح ، فضلاً عن الكتب التي تناولت الدراسات الفنية والصورة الشعرية وكتاب "الموسيقى الشعر" لإبراهيم أنيس وغيرها من المصادر الأدبية.

أمَّا عن أبرز الصعوبات التي واجهتني في إتمام هذا العمل فهي ندرة المصادر الخاصة بشعر الزهد ولاسيما الخاصة بزهد

أبي نـواس ما دفـعَ بي الى الاسـتعانة بعـدد كبير من المصـادر بغيـةَ الوصـول الى رؤيـة شـاملة فيمـا يخـصُّ شـعر أبي نـواس الزهـدي، فقد عـرف عـن هـذا الشـاعر أنـه شـاعر ماجن وأنـه شـاعر عرفـت عنه أشعار كثيرة متعلقة بالخمريات واللهو والمجون، فالبحث في جانبـه الزهـدي الآخـر كان متعبـاً حقـاً وقـد أمضـيت الكثير مـن الوقت وأنا أحاول أن أبرهن أن أبا نواس تزهد في أخريات حياته.

ولا يسـعني في نهايـة هـذه التوطئـة الا أن اتقـدَّمَ بالشـكر الجزيل الى كلِّ من أسـهم ومدَّ اليَّ يـدَ العـونِ في إتمامِ هـذا العمل المقتضـب المتواضـع، وباسـمي وباسـم كلِّ حـرف مـن حـروف هـذا البحـث أتقـدم بالشـكر الجزيـل إلى أسـتاذي الفاضـل الأسـتاذ الدكتور مُنْتَصِر عبد القادر الغضنفري فقد كانت حواراتي معه مثمـرةً، ولـم يبخـل علي بكتـاب يثري مكتبـة الكتـاب أو مشـورة تسـدد رأيـا فيـه، فلـه مني وافـر الاحترام والتقـدير، وإلى جميـع الأخوة والأصدقاء الذين أسهموا في إتمام هذا العمل لهم مني أزكى آيات الشـكر والتقـدير، كما أشـكر عـائلتي الكريمـة لما بذلتـه من جهد في مساعدتي لإتمام هذا الكتاب، وأخيراً الله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه، وأن يأخذ بأيدينا إلى ما هو خير لهذه الأمة ودينها الإسلامي الحنيف.

علي عواد عبد الله
العراق / الموصل
2009 / 2 / 17

التَّمْهِيدُ

الزهدُ لغةً:

قد لا يخرجُ معنى الزهد في اللغةِ عن الإعراض عن الشيء وتركه والاستغناء عنه والمغالاة في إغفاله إمَّا لقلته أو لدنو أمرهِ أو لاحتقارهِ والزهد خلاف الرغبةِ في الشيءِ[1]، كما أن الزهد لغةً له دلالاتٌ معينة فـ"الزهد في الدين خاصةً والزهادة في الأشياء كلها ورجل زهيدٌ وامرأة زهيدة وهما القليل طعمهما وأزهد الرجل إزهاداً فهو مزهد لا يرغب في ماله لقلته"[2]، كما أن "الزهد والزهادة في الدنيا ولا يقال الزهد إلا في الدنيا خاصةً الزهد ضد الرغبة والحرص على الدنيا الزهادة"[3]، ويأتي الزهدُ كذلك بمعنى العبادة والتعبُّد فالزهد هو التعبد والتزهيد ضد الترغيب والمزهد بوزن المرشد القليل المال وفي الحديث أفضل الناس مؤمن مزهد[4] ويقال: زهد في الشيء "زهد فيه زهداً وزهادةً: أعرض

---

(1) يُنظر: المعجم الوسيط، أحمد الزيات و حامد عبد القادر و محمد النجار: 1 / 403.

(2) العين، لخليل بن أحمد الفراهيدي: 4 / 12.

(3) لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري: 3 / 197.

(4) يُنظر: مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي: 4 / 166.

وتركه لاحتقاره أو لتحرجه منه أو لقلته وزهد في الشيء رغبَ عنه والزهادةُ في الشيء خلاف الرغبة فيه والرضاء باليسير مما يتقنُ حلُّه"[5]، وتزهد الرجل إذا صار عابداً وتعبدَ زاهدٌ وجمعه زُهَّاد ومنه زهد في الدنيا أي رغب عنها وتركها، وتبدو معاني الزهد هنا في اللغة تصب كلها في مصب واحد هو الترك والعزوف والمغادرة، كما ارتبط معنى الزهد ارتباطاً وثيقاً بفكرة المال والفقر والغنى، فالزاهد غالباً ما يكون فقيراً لا يقيم للمال ولا للترف ولا للرفاهية وزناً ولا معنى، وهي أمور نفسية غالباً ما يتم الولوج إليها في أخريات العمر، ولا شك أن أبا نواس لم يتزهد إلا في أخريات عمره، فقد ولج إلى هذا الطريق بعد الذي كان منه من مجون وتمرد وعبث، فانتابته حالة من الندم وعرج إلى التوبة أملاً منه في رضا الله وصفحه عنه، فضلاً عن ذلك فإن معنى الزهد في اللغة يرتبط بمعانٍ أخرى تتعلق بالورع والتقوى، فهي كلها تصب في مصب التوبة وتغيير مسار الحياة من مسار الغلو بالمعاصي والعبث والخلاعة والمجون إلى مسار الإصلاح والسكينة والرحمة والرضا والتقوى والورع، ولا يخفى هذا التحول في حياة أبي نواس الشعرية والشخصية.

(5) الزهد، الإمام الزاهد هنَّاد بن السري: 1 / 31.

الزُّهدُ اصْطِلاحاً:

أمَّا في الاصطلاح فالزهد هو الاستغناء والترك والانصراف عن أمرٍ ما لقلته أو لاحتقاره ، ومنه ترك الدنيا والانصراف عنها وعن مفاتنها وموبقاتها وليس كل تركٍ هو زهد فقد يترك الانسانُ الشيءَ سخاءً أو تكرماً أو مرؤةً ويجب أن يكون الزهد في شيءٍ مرغوبٍ فيه "هو ما قال الإمام الغزالي ووافقه ابن الجوزي واختصر ابن قدامة المقدسي وقال: الزهد عبارة عن انصراف الرغبة عن الشيء إلى ما هو خير منه أو بمعنى آخر أن تترك الدنيا لعلمكَ بحقارتها بالإضافة إلى نفاسة الآخرة"[6]، إذ ينبغي أن يحصل الترك في ذات أمرٍ محبوبٍ مرغوبٍ فيه "فمن رغب عن الشيء ليس مرغوباً فيه ولا مطلوباً في نفسه لمْ يسمَّ زاهداً كما ترك التراب لا يسمى زاهداً"[7]، فالزهد يكون في حلال الدنيا سخاءً من الزاهد في زيادة التقوى والرغبة عن حلال الدنيا وحرامِها مخافةً من الله وطمعاً في رضاه، وطمعاً في الجنة وخوفاً من النار والحساب والعقاب.

الزهد أخصُّ من الورعِ فيتفق المعنيان في أصل الترك والاستغناء على أن الورع يقضي بالإحاطة في الحكم المتروك فهو

(6) الزهد: 1 / 31.

(7) م.ن: 1 / 32.

أشـمل مـن الزهـد الـذي يقضـي بأخـذ القـدر الملـزم مـن حـلال المتقين، وقـد فـرَّع كلٌ من ابن القيم الجوزية والحافظ بن حجر الفرقَ بين هذين المعنيين فقال ابن القيم: الزهد ترك ما لا ينفع في الآخرة والورع ترك ما يُخشى ضرره في الآخرة وقال الحافظ بن حجر: الزهد أخذ قدر الضرورة من الحلال المتيقن الحل فهو أخصُّ من الورع إذ هو ترك المشتبه[8]، فالزهد يدخل في الأخص لا الأعم

فأمَّا أن يكون الزهد في حرامٍ ظاهرٍ أو باطن فهذا أول مراتب الزهد أي أن تزهد في الحرام ثم الزهد في المباح وتكون أعلى مراتب الزهد أن يزهد الزاهد في الفضول أي كلُّ مالك عليه غنى فكأنَّك تزهد في كلِّ شيء فيما أمرك الله أو فيما ندبك اليه مما يقربك اليه أو مما لابدَّ منه وكل ما كان سوى ذلك فهو من الفضول والفضول هو ترك ما لا يعني والنار كهذه إذا تركها صابراً عنها انه زاهد[9].

(8) يُنظر: الزهد: 1 / 32.

(9) يُنظر: الزهد وصفة الزاهدين، أحمد بن محمد بن بشر أبو سعيد: 1 / 39.

أقسام الزهد[10]:

يقسم الزهد على ثلاثة أقسام رئيسة أولها: الزهد الفرض فأمَّا هذا فهو فرض على كلِّ مسلمٍ ومسلمة وهو الزهد في الحرام إذ ينبغي أن يزهد الإنسان ويترك الحرام خوفاً من عقاب الله، والثاني: فهو زهدٌ مستحبٌّ وهو على درجات في الاستحباب وهو الزهد في المكروه وفضول المباحثات والتفنن في الشهوات المباحة، وثالث هذه الأقسام هو زهد الداخلين المحتكمين فيه وهم المشمِّرون في السير إلى الله وهو على نوعين أثنين:

1. زهدٌ خالصٌ في الدنيا ولا يعني فيه أنه يلزم تخليها من يده ولا يكتفي بالعقود وإنما أن يقوى على إخراج هذه الدنيا من قلبه بأكملها إما لدناءتِها أو حباً وتيمناً بخلود الآخرة.
2. الزهد في النفس وتنبغي الإشارة إلى أن هذا النوع هو أصعب الأنواع وأقساها وأكثر الزاهدين أنما وصلوا اليه ولم يَلُجُّوا ! لما فيه من تعمُّقٍ في حدة التصورات المختلفة[11].

وأشار أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله البيهقي في كتابه الزهد الكبير إلى هذه الأصناف الثلاثة فقال:

---

(10) يُنظر: الزهد: 1 / 41.

(11) يُنظر: الزهد: 1 / 41.

"أخبرنا عبد الله بن يوسف أنبأ ابن الأعرابي ثنا ابن أبي الدنيا محمد بن الحسين العابد قال: قال إبراهيم بن ادهم الزهد ثلاثةُ أصناف فزهد فرض وزهد فضل وزهد سلامة فالزهد الفرض الزهد في الحرام والزهد الفضل الزهد في الحلال والزهد السلامة الزهد في الشبهات"[12]، والزاهدون إمَّا أن يزهدوا في دنيا زائلة قد يئسوا من المعاصي وكثرة الذنوب ولم يفتح له في روح الآخرة فليس شيء أحب اليه من الموت لما يرجوه من روح الآخرة ومنهم من يزهد في دنيا هائلة ويُفتح له روح الآخرة فيها فلا نجد لهؤلاء شيئاً أحب إليهم من البقاء في الدنيا للتمتع بذكر الله عز وجل ومعطيات الطاعة الخالصة له والدوام على ذكره ذلك أن ذكر الله يطمئن القلوب ورغبةً من هؤلاء الزاهدين أن يذكروا الله وهم أحياء فيذكرهم، قال تعالى: "**فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ**"[13]، ذلك أن الميت ينقطع عمله عن الدنيا فلا شيء يربطه فيها إلا ثلاث صدقة جارية وعمل صالح وولد يدعو له، فقد ذكّر هؤلاء الزاهدون الله تبارك وتعالى بطاعته والله يذكرهم برحمته ورضوانه[14]، وقد

(12) الزهد الكبير، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهيقي: 1 / 69.

(13) البقرة: 152.

(14) يُنظر: الزهد الكبير: 1 / 76.

ترسخت بدواخلهم هذه المفاهيم التي تتعلق بالتقوى والورع والرضا بما قسم الله لهم في الدنيا والآخرة.

ومن قول يحيى بن معاذ في حقيقة الزهد عندما سُئِلَ عنه "الزهد ثلاثة أحرف زاي وهاء ودال أمَّا الزاي فترك الزينة وأمَّا الهاء فترك الهوى وأمَّا الدال فترك الدنيا"[15]، فخالص معناه في الترك والاستغناء والرغبة عن الشيء يسراً أو عسراً وهو أن تزهد فيما لك عند الله وترغب فيما لله عندك خوفاً من عقابه و تحسباً لحسابه، كما ووردت في القرآن الكريم آياتٌ قرآنية كثيرةٌ دالة على الزهد والتضرع إلى الله سبحانه وتعالى ومنه قوله تعالى "وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُوراً"[16]، وفي قوله تعالى "وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ"[17]، ففي اسم الإشارة "هذه" هنا ازدراء وتصغير للدنيا وهي لا تساوي عند الله جناحَ بعوضةٍ " وان دار الآخرة لهي دار الحيوان " فهي لا يكون فيها الشيء الا حياً أي أن الحياة فيها

(15) الزهد والرقائِق، أبو بكر أحمد بن ثابت البغدادي: 1 / 92.

(16) الإسراء: 19.

(17) العنكبوت: 64.

خالدة ومستمرة[18]، وفي قوله تعالى "قُلْ مَتَاعُ الدَّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلاَ تُظْلَمُونَ فَتِيلاً"[19]، في أن متاع الدنيا قليل آيلٌ إلى الفناء والآخرة هي الجنة دار الخلود قال تعالى "وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ"[20]، على أن تلك الحياة سلعة أضفى إليها المدلول التجاري لدنو قيمتها ورخصها، وقد "شبَّه الدنيا بالمتاع الذي يدلس به على المستام ويغرُّ حتى يشتريه ثم يتبين له فساده ورداءته والشيطان هو مدلِّسُ الغرور وعن سعيد بن جُبير أن هذا لمن آثرها على الآخرة فأمَّا من طلب الآخرة بها فأنها متاع بلاغ خُوطِبَ المؤمنون بذلك ليوطِّنوا أنفسهم على احتمال ما سيلقون من الأذى والشدائد والصبر عليها"[21]، وفي سورة الأنعام قال تعالى "فَمَن يُرِدِ اللّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاء كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ"[22]، فيجعل الله قلب

(18) يُنظر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي:3 / 467.

(19) النساء: 77.

(20) آل عمران: 185.

(21) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: 1 / 477.

(22) الأنعام: 125.

المؤمن مليئاً بالنور والهدى بالإيمان ومن يرد الله أن يضلَّه يجعل صدره ضيقاً شديد الضيقِ حرجاً بكسر الراء ويجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون أن يسلط عليهم العذاب والهلاك[23]، وثمة آيات قرآنية كريمة فيها تحذير وتهديد ووعيد لهذا النمط من الناس الذين يظلمون أنفسهم باتباعهم الباطل، فأخر الله عذابهم إلى يوم القيامة فيكونوا وقوداً للنار وبئس المصير.

كما ووردت أحاديثُ كثيرةٌ للرسول الكريم محمد (صلَّى الله عليه وسلم) في الزهد والتقشف والإعراض عن مفاتن الدنيا فهذا "حديث سهل بن سعد الساعدي، قال: جاء رجل إلى النبي (صلَّى الله عليه وسلَّم) فقال: يا رسول الله: دلنِي على عملٍ إذا عملته أحَبَّني اللهُ والناسُ فقال: "أزهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس"[24]، وهناك أحاديث كثيرة للرسول (ﷺ)، في معاني الزهد وحقيقة موضوعاته، قال ابن ماجه القزويني "حدثنا هشام بن عمار ثنا عمرو بن واقد القريشي ثنا يونس بن ميسرة بن حلبس عن أبي إدريس الخولاني عن أبي ذر الغفاري قال: قال رسول الله (ﷺ): ليس الزهادة في الدنيا

---

(23) يُنظر: تفسير الجلالين، محمد بن أحمد وعبد الرحمن بن أبي بكر المحلي والسيوطي: 1 / 184.

(24) الزهد: 1 / 34، أخرجه البيهقي في الزهد: 972.

بتحريم الحلال ولا في إضاعة المال ولكن الزهادة في الدنيا أن لا تكون بما في يديك أوثق منك بما في يد الله وان تكون في ثواب المصيبة إذا أصبتَ بها أرْغبَ منك فيها لو أنها أبقيتْ لك"[25]، كما جاء عن النبي الكريم (ﷺ) في "حديث عبد الله بن عمرو مرفوعاً: الزهد في الدنيا يريح القلب والبدن والرغبة فيها تكثرُ الهمَّ والحَزنَ والبطالة وتغشي القلب"[26]، فلا يكون الزهد في الدنيا إلا رغبة عنها والتقشُّف في المظاهر السلوكية في ترك الموبقات في الدنيا والالتجاء إلى الآخرة.

(25) سنن ابن ماجه، القزويني: 2 / 1373.

(26) الزهد: 1 / 34، أخرجه البيهيقي في الزهد: 2 / 1373

أَبُو نُوَاس

اسمُهُ وكُنْيَتُهُ:

يَذْكُرُ ابنُ منظور نسبَ أبي نواس فـ"هو أبو نواس بن هانئ بن عبد الأول بن عبد الصباح بن الجرَّاح بن عبد الله بن حماد بن أفلح بن زيد بن هِنِب بن دده بن غنم بن سليمان بن الحكم بن سعد العشيرة بن مالك وكان يُكنَّى بأبي نواس"[27]، كانت كُنيته "**أبو نواس**" وقد سُئل عنها وما أراد منها ومن الذي كنَّاه بها ن وهل له ولد اسمه نواس وهو ابو نواس؟ فقال: نُواس وَجَدن ويَزن وكلال وكلاع أسماء جبال معروفة لملوك حِمْيَر والجبل الذي له يقال له نُواس، وسُئلَ مرةً أخرى عن كنيته هذه فقال: سبب كنيتي أن رجلاً من جيراني بالبصرة دعا أخواناً له فأبطأ عليه واحد منهم فخرج من بابه يطلب من يبعثه إليه ليستحثُّه على المجيء إليه فوجدني مع صبيان ألعب معهم، وكان لي ذؤابةٌ في وسط رأسي فصاح بي: يا حسن، أمضِ إلى فلان جئني به، فمضيت أعدو لأدعو الرجل وذؤابتي تتحرك، فلما جئت بالرجل قال لي: أحسنت يا أبا نواس لتحركِ ذؤابتي فلزمتني هذه

(27) أبو نواس في تاريخه وشعره ومباذله وعبثه ومجونه، ابن منظور المصري: 19.

الكنية[28]، وهناك روايات أخرى عن الكنية التي كُنِّيَ بها أبو نواس قد تتفق أو تختلف مع ما قاله هو بشأن هذه الكنية فقد "كان صاحبنا يكنى في أول أمره بأبي علي إلا أنه لمَّا رغب في الانتساب إلى تميم وأن يكون من أبناء الفرزدق الشاعر اكتنى بأبي فراس وهي كنية الفرزدق، توكيداً لصلته به فلمَّا أبت عليه تميم ذلك تحوَّل إلى اليمن (ذي النَواس) وكان ملوك اليمن يسمون بالذَّوِيْنَ فكان أحدهم يدعى (ذا يزن) والثاني (ذا كلاع) والثالث (ذا جدن) وهكذا، ويقال أن أستاذه خلفاً الأحمر الذي كان يحبه حباً جماً وهو ذو ولاء في اليمن وهو الذي أشار عليه باتخاذ كنية تدل على صلته الموهومة باليمن وقيل انه كني بأبي نواس لذؤابتين كانتا تنوسانِ أي تتحركان على عاتقه"[29] ومهما تضاربت الأخبار والروايات بشأن كنية أبي نواس فإننا في نهاية المطاف أمام شاعر فحلٍ شاع صيته وعرف بين الناس بأبي نواس، وكانت كنيته مما يشار إليه فيها، فقد تميزت من عن غيرها من الكنى في أنها لم تتماثل ولم تتشابه مع غيرها من الكنى الأخرى فأبو نواس ليست كأبي حسن أو أبي محمد أو أبي زيد، فهي مخصوصة بالشاعر

(28) يُنظر: أبو نواس في تاريخه وشعره ومباذله وعبثه ومجونه، ابن منظور المصري: 19

(29) في الأدب العباسي، محمد مهدي البصير: 156.

العباسي الحسن بن هانئ، الذي عرف بها وعرفت به على مدار حياته الفعلية ومسيرته الشعرية.

ميلادُه وسِنُّه ووفاتُه:

واختلفت أقوال الرواة في السنة التي ولد فيها أبو نواس فقيل: كان مولده سنة ست وثلاثين ومائة للهجرة وقيل: سنة خمسة وأربعين ومائة وقيل سنة ثمان وأربعين ومائة وقيل سنة خمسين ومائة، وقيل تسع وثلاثين، ذلك أن ولادة هذا الشاعر لم تُسجل بوقتها لأنها أصلا لم تلفت انتباه احدٌ حتى المقربين منه مما أدى إلى هذا التضارب بشأن حقيقة السنة التي ولد فيها شاعرنا ولعل من أوثق هذه الأقوال قول الجاحظ "أنا أسنُّ من أبي نواس بسنة ولدتُ أول سنة خمسين ومائة وهو ولد في آخرها"[30]، ومنهم من قال بأرجحية سنة تسع وثلاثين ومائة[31]، وقد يضعف الشك في حقيقة أن ميلاد النواسي كان في منتصف القرن الثاني للهجرة مع جهل اسم السنة التي ولد فيها ابو نواس.

كما اختلفت الروايات في السنة التي ولد فيها أبو نواس اختلفت في سنة وفاته فقيل توفي سنة خمسة وتسعين ومائة، وقيل: سنة تسع وتسعين ومائة، وقيل سنة مائتين

(30) معجم الأدباء، ياقوت الحموي: 16 / 74.

(31) العصر العباسي الأول، شوقي ضيف: 221.

للهجرة [32]، وقيل بل توفي بعد المائتين بقليل وفي ديوانه رثاء للأمين يشهد بأن وفاته لمْ تكن قبل سنة ثمان وتسعين ومائة[33]، كما اختلفت الأقوال في سبب الوفاة "فيزعمون مرةً أن آل نوبخت وهم رهط من فرس كانوا يكرهون الشاعر، ويضيقون به لأنه يكرههم ويهجوهم فداسوا ببطنه حتى مات ويدعون تارةً انه مازح علي بن أبي سهل النوبختي ايضاً فهجاه على سبيل المزاح ببيت بذيء لمْ يحتمله له فضرب به الأرض وبرك على صدره يوسعه لكماً ولطماً ودخل الناس بينهما فخلصوه منه ولكن أبا نواس مات بسبب هذه الحادثة بعد أيام يذكرون حيناً أنه أعني أبا نواس كان يهاجي زنبوراً الكاتب الشاعر فنحله هذا ابياتاً في سب الإمام علي (عليه السلام) استحل بها آل نوبخت دمه أما آل نوبخت فأنهم ينكرون أن تكون لهم يد في القضاء على حياته ويؤكدون أن الخمرة هي التي قتلته وليس فيما بين أيدينا من المصادر التي تتحدث عن أبي نواس ما يحملنا على ترجيح بعض هذه الأقوال على بعضها الآخر ولكن قد لا يبعد أن يكون أبو نواس فريسة حقدٍ كان يكنَّه له آل نوبخت"[34] وهكذا انتهت

(32) في الأدب العباسي: 170.

(33) العصر العباسي الاول: 226.

(34) في الأدب العباسي: 167.

حياة أبي نواس بغموض تام كما بدت بغموض تام وقد بلغ التاسعة والخمسين من عمره، فلم تثبت السنة التي ولد فيها كما لم تثبت السنة التي مات فيها، وظلت الأقوال والآراء تتناقل وتتعارض وتتماثل في حقيقة المولد والوفاة.

حياتُه ونشأتُه:

يبدو أن حظَّ أبي نواس كان عاثراً مع من عاصره أو خلفه من المدونين أو المؤرخين فبعدما اختلفت أقوال الرواة بشأن السنة التي ولدَ فيها الشاعر والسنة التي فارق فيها الحياة وبعدما اختلفوا في كيفية وفاته، نجد هذا الخلاف يتجدد في البلدة أو المدينة التي ولد فيها النواسي فمنهم من يقول أنه ولد في البصرة ومنهم من يذهبُ بولادته إلى الأهواز وقيل أنه في مكانٍ آخر[35]، وقصارى ما يستطيع الباحث أن يقوله في ولادته أنها كانت في الأهواز ولا يؤخذُ بهذا على سبيل التحقيق وإنما على سبيل الكثرة، وهنالك من يقول أن ولادتَه كانت في البصرة وسيان ولد بهذه أو تلك فأن أبا نواس لم يعرف له موطناً الا هذه الأخيرة ومن يقول انه ولدَ في غيرها يذكر أنه جاء إليها مع أهله طفلاً في الثانية او السادسة من عمره ففي البصرة أمضى سني الطفولة

(35) يُنظر: في الأدب العباسي : 157.

والشباب وأقام بها حتى الثلاثين من عمره[36]، ويقول ابن قُتَيْبة[37]: وكان بصرياً ويقول:

وإن أكُ بصرياً فإنَّ مَهـا حرى

دمشق ولكن للحديث شجونُ

وأبو نواس فارسيُّ الأب وألام فكان أبوه الهانئ أو الهنئ من جند مروان بن محمد آخر خلفاء بني أُمية ورد ودخل الأهواز مع الجيش المرابط فرأى (جُلَّبان) وهي فارسية من الأهواز على ضفةِ نهرٍ من الأنهار فأعجبته فتزوجها وتضاربت الأنباء والأخبار في حقيقة عملها ما بين غسَّالةٍ للصوف[38]، وصاحبة دار القطاء في البصرة[39]، أو قوَّادة تجمع عندها العشَّاق[40]، وأبوه جندي بسيط من دمشق ورد الأهوازَ فأحبَّ هذه جلبان وتزوجها وأنجبَ منها أبا نواس شاعرنا و "أبا معاذ" وأُختاً صارت زوج القصار فيما

(36) أبو نواس ومشاهير الأدب، الياس عشي: 19.

(37) الشعر والشعراء، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري أبو محمد: 770.

(38) يُنظر: تاريخ الأدب العربي، بروكلمان: 2 / 24.

(39) يُنظر: أبو نواس في تاريخه وشعره ومباذله وعبثه ومجونه، ابن منظور المصري: 34.

(40) يُنظر: م، ن: 32.

بعد وتوفي هانئ بعد زواجه بسنوات لا تتجاوز الست فأخذتْ جلبان ابنها أبا نواس إلى البصرة وهو ابن السادسة من عمره[41]، وكانت جُلبان قد أسلمت أبا نواس في البصرة إلى عطَّارٍ يعمل في حانوته كي يعينها على ما تقاسي من مرارة العيش وضيق اليد ولكن أبا نواس كان يكره هذا العمل، ولطالما مال إلى رواية الشعر ودراسة الأدب ومجالسة الأدباء فقاده هذا التطلع إلى مصاحبة أدباء البصرة المُجَّان، وكان قد تعوَّدَ على معاشرتهم فأخذَ يلهو ويعبث معهم ويستخدمونه في نزهم ويعطونه ديناراً نظيرَ خدمته لهم، فالتقى بعد ذلك بوالبة بن الحباب[42] وحمَّاد عجرد[43] ومطيع بن اياس

(41) يُنظر: أبو نواس بين التخطِّي والالتزام، علي شلق: 37.

(42) والبة بن الحباب: شاعر ماجن من أهل الكوفة توفي سنة (170 هـ)، وهو أبو أسامة بن الحباب الأسدي الكوفي من أسد بني خزيمة يدور شعره حول المجون والخمرة والغزل، عن الإنترنيت: ar.wikipedia.org/wiki

(43) حماد عجرد: شاعر مخضرم بين الدولتين العباسية والأموية وهو حماد بن عمر بن يونس، عرف بالهجاء والغزل ووصف الطبيعة، كان ماجنا وقد اتهم بالزندقة، عن الأنترنيت: ar.wikipedia.org/wiki.

الاسدي[44] ويحيى بن زياد ومجموعة من زنادقة الكوفة وخلعائِها، فصار أبو نواس ماجناً بحكم هذه الصحبة السيئة بيدَ أنه في ذات الوقت كان قد طلب من والبة أن يأذن له بالخروج إلى البادية ليشافه الأعراب والفصحاء ويتزود مما عندهم من أشعار ولغة وأخبار فمضى سنةً كاملةً ثمَّ عاد إلى البصرة، ومن خلال ما تقدم يتخيل إلينا أننا أما صورتين متناقضتين من صور الحياة لدى أبي نواس الأولى نجده فيها يتخبط بين العبث والمجون والخلاعة والأخرى بين طلب المعرفة والعلم وتعلم الفصاحة والشعر فضلاً عن أنه قد حفظ القرآن على يد يعقوب الحضرمي حتى قال له اذهب أنت أقرا من في البصرة ودرس الحديث والفقه وأخذ العريب عن أبي زيد الأنصاري والأخبار وأيام العرب عن أبي عُبيدة ودرس الشعر عن خلف الأحمر وراجع نحو سيبويه فتمكَّنَ منه[45]، فكانت حياته مليئةً بالمتغيرات والأحداث التي تتناسق فيما بينها تارةً وتختلف تارةً أخرى تبعاً لطبيعته الشخصية والظروف المحيطة به، فبين العبث والمجون والخلاعة، وحياة مليئة بالتسكع واللهو، إلى حياة

(44) مطيع بن إياد الأسدي: : شاعر مخضرم بين الدولتين العباسية والأموية والغزل ووصف الطبيعة، كان ماجنا وقد اتهم بالزندقة، عن الأنترنيت: ar.wikipedia.org/wiki.

(45) يُنظر: في الأدب العباسي: 159.

أخرى مليئة بالحزم والمثابرة والإصرار على طلب المعرفة والتعلم على يد العلماء والقراء وعالمي الأنساب والأخبار.

وقد تعلق قلبُ أبو نواس بجارية تدعى جنان فهي جاريةٌ لعبد الوهاب الثقفي عشقها أبو نواس فكان يلاحقها ويطاردها ويصف ما يجري لها في شعره ويذيعه في الناس فإذا حضرت حفلةَ عرسٍ قارنَ بينها وبين العروس وفضَّلها عليها فتنةً وجمالاً واستمرَّ بوصفها حتى وهي تلطم وتبكي في مأتمٍ أو عزاء [46]، وقد ذهبت في عقل أبي نواس كل مذهب، فقد نظم لها العديد من القصائد التي يتغنى ويتغزل بها، ويحدث أصحابه وندماءه عنها وعن مفاتنها وجمالها.

ويقع تأثير تلك العلوم والمعارف التي كان يتلقاها أبو نواس، من علوم دينية وعلوم اجتماعية وعلوم لغوية، حتى أضحى "عالماً فقيهاً عارفاً بالأحكام والفُتْيا بصيراً بالاختلاف صاحبَ حفظ ونظرٍ ومعرفةٍ بطرق الحديث يعرف ناسخ القرآن ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه"[47] فأسهمت تلك المعارف والعلوم التي كان أبو نواس يصر على تعلمها وإتقانها في تعزيز موقف القصيدة لديه وجعلها قصيدةً منفتحةً على مجالات معرفية

(46) يُنظر: في الأدب العباسي: 159.

(47) طبقات الشعراء المحدثين، ابن المعتز: 201.

متعـددة، وتخضـع لمرجعيـات سـياقية متنوعـة تعكـس ثقافتـه ونبوغه الشخصي.

غـادر أبـو نـواس البصـرة واتجـه إلى بغـداد وقـد تضـافرت أسـبابٌ عديـدة أدَّتْ في نهايـة الأمـر إلى هـذا التحـول بـين مـدينتين عـريقتين، منهـا السـمعة السـيئة التي لطالما تهرَّب منهـا التي عرفت بها والدته كذلك رغب عن البصرة ومن فيها فدخل بغدادَ بعد أن جـاوز الثلاثـين واتصـل بـبعض ولـد المهـدي ونـادمهم[48]، فمـدح مجموعة من الخلفاء العباسيين كالرشيد والعبَّاس وعبيد الله بن المنصور ومدحَ البرامكة وآل ربيع ولمْ يلقَ مديحه للخلفاء والأمراء حظـوةً كبيـرة عنـدهم فقـد كانـت ضـعة منزلتـه حاضـرة عنـد الممـدوحين؛ ولـم يحـضَ النواسـي بـالعطف الكـافي مـن جانـب الرشـيد إذ كـان محروماً مـن جـوائزه الا مـا نـدر فأخـذ آل ربيـع يقربـون الشـاعر ويرفعـون من شـأنه ويجيزونـه على مدائحـه كي يتخـذوا منـه داعيـةً لهـم ويسـتعينوا بـه على الغـض من البرامكـة والطعـن بهـم ويظهـر أن جـوائزهم هـذه كانـت أقـلُّ مـن أن تفـي بنفقـات مجالسِ الطرب واللهـو التي كان يعقدها على الصراة أو في السـوق الكرخي مع داؤود بـن رزيـن وعمـرو الـورَّاق واسـماعيل

(48) يُنظر: في الأدب العباسي: 160.

القراطيسي وغيرهم[49]، إلا أن أبا نواس كان على مقربة من الخليفة محمد الأمين الذي أغدق عليه الأموال وأمر له بالكثير من الهبات والجوائز فعاش أبو نواس مع الخليفة الأمين أسعد أيام حياته ما دفع أبا نواس بعد وفاة الأمين إلى رثاءه بقصائدَ حزينةٍ تحمل طابعاً انسانياً صادقاً "وكان أبو نواس وفياً للخليفة محمد الأمين لأنه تنعَّم في أيامه وحظي بلطفه وإحسانه وحينما قضى الله نحبه رثاه بشعر صادق منبعثٍ من قلبٍ حزينٍ مرزوء"[50]، فلم يلقَ عند الخلفاء والوزراء ما لقيه عند الخليفة محمد الأمين، لأن الشاعر استطاع أن يصل إلى قلب الشاعر فوثق به كثيراً، فضلاً عن ذلك فإن القصيدة النواسية لقت رواجاً واضحاً لدى الخليفة الأمين.

وكان أبو نواس ذا طابعٍ ملول يحب الانتقال والتنقل فضلاً عن أن عطايا الربيعيين والرشيد والأمين لم تعدْ كافيةً لسد حوائجه بين الحانات ونفقات مجالس اللهو والطرب ففكر أبو نواس بالاستجابة لنداء الخصيب أمير مصرَ، وظل الغموض يدور حول دعوة الخصيب لأبي نواس فهل كان ذلك حباً من الخصيب للشاعر فأراد أن يذكره بمدائحه؟ أمْ نكايةً بأعدائه

(49) يُنظر: في الأدب العباسي: 161.

(50) الأدب العربي في العصر العباسي، ناظم رشيد: 35.

البرامكة الذين احتقرهم أبو نواس مراراً وتكراراً وكذا موقف الخصيب فيهم؟[51] فبدأ أبو نواس حياته الجديدة في مصر عند بلاط الخصيب بمدحه إياه بقصيدة رائية قال فيها[52]:

أجـــارةَ بَيْتَيْنَـــا أبـــوكِ غَيـــورُ

وميْسُـــورُمـــا يُرْجَـى لـــديْكِ عسِـــيرُ

تقـولُ التي عـن بيتهـا خـفّ مرْكبي

عزيـــزٌعلينـــا أن نَـــرَاكَ تَســـيرُ

أمـــا دونَ مصْـــرٍللغنَـى مُتَطَلّـــبٌ

بلـــى إنّ أسْـــباب الغِنَـــى بكثيـــرُ

فقلـــتُ لهـــا واســـتعجلَتْها بَـــوَادِرٌ

جـــرتْ فجـــرى فـــي جـــرْيِهِنّ عبيـــرُ

ذرينـــي أكَثّـــرْحاســـديكِ برِحْلَـــةٍ

إلـــى بلَـــدٍ فيـــه الخصـــيبُ أميـــرُ

إذا لـــم تَـــزُرْأرْضَ الخصِـــيبِ ركابُنـــا

فـــأيّ فتـــىً بعـــدَ الخصـــيبِ تَـــزُورُ

---

(51) يُنظر: أبو نواس بين التخطي والالتزام: 54.

(52) ديوان أبي نواس، تحقيق وشرح: سليم خليل القهوجي: 469

فتًى يشْــتري حسْــنَ الثنــاءِ بمالِــهِ

ويعْلَــــمُ أنّ الـــــدّائِرَاتِ تَـــــدُورُ

فمــا جــازَهُ جُــودُ ولا حَــلّ دونَــه]

ولكــنْ يصــيرُالجــودُ حيــثُ يصــيرُ

وهكذا قرَّبه الخصيب وأحسنَ صلته به فبلغتْ جوائزه له على عدة مدائح ثلاثة آلاف دينار واستبدَّ أبو نواس في البذخ وطلب الجوائز فرأى الخصيب أنه بلغ حدَّ طاقته في إثابة أبي نواس فيما يقول فرغب اليه أن يفارقه فكانت تلك بمثابة الصدمة لأبي نواس فتحسَّرَ على أيامِ بغدادَ وتألَّمَ كثيراً ممثلاً ذلك بقوله[53]:

إذا ذكــرتْ بغــدادُ لــي فكأنَّمــا

تحــرَّك فــي قلبــي شــباهَ ســنانِ

وأوبــةُ مشــتاقٍ بغيــردراهــمٍ

إلــى أهلــه مــن أعظــم الحــدثانِ

فعاد إلى بغدادَ خاليَ الوفاضِ كما رحلَ عنها وكان أول ما لاقاه في بغداد بعد عودته من مصر حبسه من قبل الرشيد لأنه

(53) ديوان أبي نواس: 891.

هجا القبائل العدنانية[54]، فلم يكن أبو نواس ذكياً في تعامله مع من نادمهم وامتدحهم من خلفاء ووزراء، إذ إنه كان يقطع طريق العودة إلى الوراء فنجده يذم الشخص الذي كان يمتدحه بالأمس، ويمتدح الشخص الذي كان يذمه في الأمس، فلم يكن يستند إلى رؤية معمقة وثابتة لا سيما فيمن يمتدحهم ويتخذ معهم موقفاً حازماً.

ويرى محمد مهدي البصير أن حبسَ الرشيد لأبي نواس كان لسببٍ أعمق من هذا بكثير أي لأنه هجا أخته العباسة هجاءً قبيحاً[55]، وأياً كان السبب فيبدو أن هذه الاهاجي كانت تصدر من أبي نواس رغبةً منه في الانتحار بعدما كسدتْ سوقه فحُبِسَ لأكثر من مرَّةٍ ولم يكن أبو نواس يمتلك الجرأة الكافية في تناوله سماً كي يقضي على حياته اليائسة فاستهتر في الاهاجي ضدَّ الرشيد ظاناً أنه سوف يقتله ولكنه خيَّبَ أمله واكتفى بالسجن وتدهورت حال أبي نواس من بعد الرشيد عند اشتعال نار الفتنة بين الأمين والمأمون وكان هو ضحيةَ هذا الاضطراب فانتهت به الحياة إلى مصيرٍ مجهول وغامض كما بدت حياته بمصيرٍ غامض فرحل النواسي تاركاً وراءه إرثاً أدبياً عظيماً ومادِّياً كبيراً تنعَّمتْ به

(54) يُنظر: في الأدب العباسي: 161.

(55) يُنظر: م.ن: 162. أبو نواس بين التخطي والالتزام: 44.

أمهُ من بعده[56]، فكان تدهور الأوضاع السياسية والأمنية في الدولة العباسية سبباً وراء تدهور حياة أبي نواس نفسه فهو مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالقصر والعائلة المالكة.

صفاتُه:

كان الاختلاف بين الرواة حاضراً في مجمل الحوادث الخاصة بحياة أبي نواس بيد أنهم اتفقوا جميعاً على أنه كان أجمل الناسِ وجهاً وأحسنهم قدَّاً وألطفهم طبعاً وأفصحهم لغةً[57]، ونقل الحصري عن الجماز وصفه فقال: "كان أبو نواس أظرف الناس منطقاً وأغزرهم أدباً وأقدرهم على الكلام وأسرعهم جواباً وأكثرهم حياءً فكان أبيض اللون جميل الوجه مليح النعمة والإشارة مُلتف الأعضاء، بين الطويل والقصير مسنون الوجه قائم الأنف حسنَ العينين والمضحَك حلو الصورة لطيف الكف والأطراف وكان فصيحَ اللسان جيدَ البيان عذبَ الألفاظ، حلو الشمائل كثير النوادر أعلم الناس كيف تكلَّمتِ العرب راويةً للأشعار علامة بالأخبار كان كلامه كأنَّه شعرً موزون"[58]، وربما

(56) يُنظر: في الأدب العباسي: 165.

(57) يُنظر: أبو نواس بين التخطي والالتزام: 41.

(58) زهر الآداب وثمر الألباب، أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني: 204.

يلازم المنطق الصفات الخَلقية التي أوردها الرواة عن أبي نواس في أنه كان ظريفاً حسن الوجه والمظهر، لكن أبا نواس كان قد عرف بين الكثير من الناس بعبثه ومجونه وخروجه عن النسق الاخلاقي العام، ولم يتزهد إلا في أخريات حياته، كما يروى أنه كان ألثغاً بالراء يجعلها غيناً وكان نحيفاً وفي حلقه بحَّةٌ لا تفارقه وفي رأسه سماحةٌ وتسفيط[59] وكان سريع البديهة حاداً في ذكائه.

كما ذكر ابن المعتز أن أبا نواس "كان عالماً فقيهاً عارفاً بالأحكام والفُتْيا بصيراً بالاختلاف صاحبَ حفظ ونظرٍ ومعرفةٍ بطرق الحديث يعرف ناسخ القرآن ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه"[60]، وذكر الدكتور محمد مهدي البصير في إطار وصفه أبا نواس "انه كان حوّلاً قَلَّباً كثير الطمع كثير الجشع منكراً للجميل خبيث اللسان قليل الصبر خائر العزيمة"[61] في اشارة منه إلى انتماء الشاعر إلى الشعوبية والزندقة وإنكاره للعرب وفضلَهم عليه، فقد أوردت الكثير من الأخبار انتهاج أبي نواس طريق الزندقة والشعوبية، فقد كان من الموالي الذين نشطت حركتهم في الدولة العباسية بعد أن كان لهم الدور الفاعل في

(59) يُنظر: تاريخ الأمم والملوك، ابن جرير الطبري: 7 / 106.

(60) طبقات الشعراء المحدثين، ابن المعتز: 201.

(61) في الأدب العباسي: 170.

إنجاح الثورة العباسية، وأسندت الكثير من المناصب إلى الموالي الذين انطلقوا من خراسان واتجهوا إلى بغداد والكوفة لتعزيز موقفهم الفعلي في الدولة.

اجْتِمَاعُهُ بِوالِبة:

لقد أفردنا لاجتماع أبي نواس بوالبة بن الحباب الاسدي مدخلاً خاصاً وذلك لأهمية هذا الأخير في أدب المجان في الكوفة من جهة، والأثر الذي ترتب على إثر لقائه بأبي نواس من جهةٍ أخرى، إذ أن لقاء أبي نواس بوالبة كان يعدُّ بمثابة المنعطف الحاد الذي خطَّ لأبي نواس طريقه نحو المباذل والعبث واللهو على الرغم من أنه استأذن والبةَ في أن يسمح له بالرحيل إلى البادية لمشافهة الأعراب ومجالسة الفصحاء وتعلم رواية الشعر إلا أن حياة أبي نواس أخذت منحاً جديداً بعد اجتماعه بوالبة، فقد قدم والبة إلى البصرة من الأهواز قاصداً سوق العطَّارين يشتري حوائجَ وبخوراً فاشترى عوداً هندياً من عند العطار الذي يعمل عنده أبو نواس حيث كان أبو نواس يبري العودَ فاحتاج والبة اليه في أن يبري عوده فما أن رآه والبة بن الحباب إلا وكاد عقله أن يذهب فلمْ يزل يختدعه حتى صار اليه فحمله إلى الأهواز وقدم به إلى الكوفة فشاهد منه أدباؤها أدباً جمَّاً ولم يلبث أن دخل معه إلى منزل محمد بن سيَّار بن يعقوب وكان لمحمد

ولد جميل ولديه قيان يخرجهن إلى ندمائه فاتفق أن يخرجهن وجلس ابن محمد في صفهنَّ[62] فقال أبو نواس حينئذٍ[63]:

ياظَبْيُ يا ابنَ سِيار

وَزَيْنَ صَفِّ القِيانِ

لينعتنّكَ وَهْمي

إن كَلّ عنكَ لساني

خُلقتَ في الحسْن فرداً

فمَا لحُسْنِكَ ثانِ

كأنّما أنْتَ شيءٌ

حَوَى جميعَ المعاني

ويلي لقد كنت عنكم

بمعزِلٍ ومكانِ

(62) يُنظر: أبو نواس في تاريخه وشعره ومباذله وعبثه ومجونه: 22.

(63) ديوان أبي نواس: 907.

علقـــــت مـــــنْ حَـــــلَّ عنـــي

وشـــــــأنه عـــــــزَّشـــــــانِ

مـــــن لـــــيسَ يطمـــــعُ فيـــــه

الا فـــــــــــلان الفلانـــــــــــي

والتقى أبو نواس والبةَ في سن الصبا[64]، ويروي في لقائه بوالبة غير الذي ذكر إذ "أن النجاشي الاسدي والي الأهواز للمنصور أحتاج إلى عطرٍ يعمل له فلم يجد في الأهواز من يعمله فبعث إلى البصرة فحمل عطارين فيهم أستاذ أبي نواس وأبو نواس معه كانوا يعملون في داره وقدم عليه والبة بن الحباب الاسدي الشاعر وهو ابن عمه فرأى أبا نواس فاستحلى قدَّه وأُعجبَ بظرفه فقال له: إني أرى فيك مخايل فلاحٍ وأرى لك أن لا تضيعها وستقول الشعرَ وتعلو فيه فاصحبني حتى اخرَّجَك، فقال له: ومن أنت؟ قال: أبو أسامة، قال: والبة؟ قال: نعم قال: أنا والله جعلت فداك في طلبك وقد أردت الخروج الى الكوفة والى بغداد من أجلِك، قال: ولماذا؟ قال شهوةً للقائك ولأبياتٍ سمعتها لك قال: وماهي؟ فأنشده:

(64) يُنظر: أبو نواس ومشاهير الأدب: 36.

ولهـــــا ولا ذنـــــبَ لهـــــا

حـــــبٌّ كـــــأطراف الرمـــــاحِ

جرحـــــتْ فـــــؤادَك بـــــالهوى

فالقلـــــب مجـــــروح النـــــواحي

ســـــلَّ الخليفـــــةُ صـــــارماً

هـــــو للفســـــاد وللصـــــلاحِ

أجْـــــداه كـــــفُّ أبـــــي الوليـــــ

ـــــدِ يـــــداً مباريـــــةَ الريـــــاحِ

أُلقـــــى بجانـــــب خصـــــرهِ

أمضـــــى مـــــن الاجـــــلِ المتـــــاحِ

وكأنَّمـــــــــا ذرُّالهبـــــــــا

ءُ عليـــــه أنفـــــاس الريـــــاحِ

فمضى معه واتصل به"[65]، وأخذ والبة ذلك الصبي ودرَّبه على قرض الشعر ألا أنه تقاضى ثمنَ ذلك غالياً فقد ربَّاه أسوء تربيةٍ ونشَّأه أرذل نشأة فجعل منه فتىً ماجناً سكِّيراً مستهتراً لا

(65) أبو نواس في تاريخه وشعره ومباذله وعبثه ومجونه: 23.

يتورَّع في أرضاء شهوة لا يحجم عن اتيان منكر، وما كان له أن يكون أيَّ شيءٍ آخر وهو أصبح عشيراً لحماد عجرد ومطيع بن اياس ويحيى ابن زياد وأضرابهم من زنادقة الكوفة وخلعائها حتى استأذن أبو نواس في الخروج الى البادية ليشافه الأعراب والفصحاء ويتزود مما عندهم من لغةٍ وشعرٍ وخبر فأذِنَ له[66]، فكان اجتماعه بوالبة بمثابة نقطة التحول التي غيرت حياة أبي نواس وأوردته الكثير من المجون والعبث واللهو، فأخذت حياته طابعاً مختلفاً عن بقية الشعراء الذين عرفوا بتقاربهم وتواجدهم عند الخلفاء والوزراء، فضلاً عن ذلك فإن القيمة الأخلاقية التي كانت موجودة عند أبي نواس هبطت إلى أدنى مستوياتها، بعد هذا الاجتماع الذي جمعه بوالبة، لكن بذور الإصلاح القوية بقيت موجودةً في روح النواسي ووجدانه، يتفجر في أخريات حياته قصائد في الزهد والورع تحمل معاني إيمانية

شِعْرُهُ:

يعدُّ أبو نواس واحداً من كبار الشعراء على امتداد التاريخ الشعري العربي فله ديوان ضخمُ جمعه رواته يحيى بن الفضل وأبو بكر الصولي وعلى بن حمزة وحمزة بن الحسين الاصبهاني وابن السّكيت وأبو سعيد السكري وتوزن الطبري طبع هذا

(66) يُنظر: في الأدب العباسي: 158.

الديوان مراتٍ عديدة، ليقولَ سليم خليل القهوجي الذي حقق وشرح ديوانه في رواية الصولي: "ولا أظن أن ديواناً حظي من وفرة الطبعات ما حظي به شعر أبي نواس ولعل الدافع الأساسي الى ذلك شهرة النواسي وشدة الميل الى قراءة شعره على مختلف المستويات الثقافية"[67]، وقد لا يراود شكٌّ أحداً في أن هذا الديوان يحتوي على مقطوعاتٍ وقصائدَ كثيرةٍ ليست من نظم أبي نواس[68]، ولكن يخيل ألينا أن الذين حملوا عليه الشعر كانوا من ذوي الخبرة الحسنة به وبمذاهب أصحابه لأنهم حملوا على أبي نواس منه ما يتَّفق ومقاصده وأغراضه ويتلاءم ولغته وأفكاره أيضاً ولذلك كانت الكثرة الكبرى من الشعر المروي له متجانسة منسجمة يمكن إلحاق بعضها ببعض وضم بعضها الى بعض بسهولة[69]، وتشكل أشعار أبي نواس طابعاً فنياً فريداً يمكن أن يستشفه القارئ من خلال قدرته القرائية، فقد تميزت قصيدته بقوة استهلالها وفرادة متنها، فهي قصيدة مفتوحة على أبعاد معرفية متنوعة، تكاد لا تتوفر عند شاعر آخر من أقرانه.

---

(67) ديوان أبي نواس: 17.

(68) يُنظر: في الأدب العباسي: 171.

(69) يُنظر: م، ن: 171.

كما "يتألَّف ديوان أبي نواس من أحد عشر باباً في المديح والهجاء والرثاء والعتاب والغزل بالمذكر والخمر وما جاء بينهما وبين المجون والصيد والزهد والنقائض وهي المساجلات التي جرت بين الشاعر ومعاصريه ومنافسيه من الشعراء"[70]، ونظم أبو نواس في هذه الموضوعات جميعها وفيها الكثير ما نسب اليه منها لغايةٍ أو لأخرى، فليست كل الأشعار ما تصح نسبتها إليه إنما دست الكثير من القصائد في شعره فمنها ما يمكن تمييزه ومنها ما أشكل على القارئ تقصيه، لكن الشراح والرواة بذلوا الكثير من الوقت والجهد في سبيل تحقيق النص النواسي واستخلاصه من بين النصوص التي تم ادخالها في نصوصه.

ولعل ما ترك أبو نواس من أشعار في وصف الخمرة وشغفه بها يعود الى أسباب عديدة منها إخفاقه في حب الجارية الأولى التي شغفت قلبه وشعوره بقلَّته إزاء الآخرين وواقعاً اجتماعياً والشعور بالضعف الجنسي احياناً بسبب الإسراف كما كان لشخصية الخمرة وما لها من عطر خاص صاد قدرته على التباهي إمام المجتمع على انه قاد على تخطي الحواجز أثر بالغ في إغراقه في وصف ذلك الشراب واعتماده كأساس من

(70) في الأدب العباسي: 172.

أسس تكوين البناء الشعري عند أبي نواس[71]، وما يكاد يُذكر أبو نواس حتى يذكر معه الطرد والرفض والثورة على الأطلال والخمريات والغزل بالمذكر والمديح والهجاء[72] وحتى الزهد ما يدل على أنه من الشعراء الذين وجدوا لأنفسهم موطناً بين آلاف الشعراء الذين سبقوه وخلفوه كنايةً عن تجربة إنسانية عاشها الأدب العربي خلال أيام هذا الشاعر الكبير حيث كان النواسي عالماً في رواية الشعر وبليغاً ناصعَ الفصاحة قبل أن يكون شاعراً ولا عجبَ في أن نرى الكثير من القصائد التي تختلف ونسق أبي نواس أو توافقه منسوبةً اليه فقد مرَّ هذا الشاعر بمراحلَ كثيرةٍ في حياته بين رفعة ودنو وعزة واهانة ما ولَّدَ له أعداءً وحاقدين نسبوا اليه شعراً لم يقله وان قال أبغض من ومثال ذلك ما نسبَ اليه في سبِّ الإمام علي (كرَّمَ اللهُ وجهَهُ) رغبةً في قتله وإباحة دمه.

فلا نكاد نجد أحداً ممن لهمُ الشأن الواضح في الأدب والنقد العربيين من المعاصرين لأبي نواس أو من الذين خلفوه الا وأبدى رأيه فيه بين معارضٍ ونصيرٍ وآخر ما ذكر شيئاً فيه، "قال أبن خالويه العالم النحْوي ت 370 هـ: لولا ما غلب

(71) يُنظر: أبو نواس بين التخطي والالتزام: 65.

(72) يُنظر: الزندقة والشعوبية في العصر العباسي الاول، حسين عطوان: 180.

عليه من الهزل لأستشهد بكلامه في كتاب الله تعالى وذلك لأنه أي "أبو نواس" تعلَّم اللغة من أساطينها ورحل الى البادية فأخذ عن العرب وحفظ لغتهم وأتقنها"[73] وكذا الجاحظ فقد قال[74]: "وإذا تأملتَ شعره فضَّلْته الا أن تعترض عليك فيه العصبية أو ترى أهل البدو أبداً أشعر وان المولدين لا يقاربونهم بشيء فان اعترض عليك هذا الباب فانَّك لا تبصر الحق ما دمت مغويا...."[75]، وتكلَّم القيرواني ابن رشيق على أبي نواس بأنه كان أيسر الناس شعراً وما أحد الا ويميل الى معاشرته ومنادمته ويحسده على قربه من النفوس ولطفه وهو أشعر المولدين وليس فيهم من يضارعه[76]، في حين قال ابن الأعرابي اللغوي الشاعر ت 230 هـ: "لولا أن أبا نواس وضع نفسه بهذه الأدناس والإرفاث أي الفحش لاستشهدت بشعره ولاحتَجَجتُ"[77] وأضاف ابن الأعرابي "ختمتُ الشعر بشعر أبي نواس ولم أروِ بعده لشاعر"[78]، وتعد

(73) أبو نواس في تاريخه وشعره ومباذله وعبثه ومجونه:5

(74) الحيوان، عمرو بن بحر الجاحظ: 1 / 26 . 27.

(75) أبو نواس في تاريخه وشعره ومباذله وعبثه ومجونه:5

(76) يُنظر: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق أبو علي الحسن القيرواني: 2 / 133.

(77) تاريخ بغداد، أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي: 7 / 442.

(78) م، ن: 7 / 442.

شهادة الأعرابي في حق أبي نواس كافيةً لإعادة شيئاً من بريقه الفني بعد أن خفت في أخريات حياته، لا سيما بعد عودته من مصر، فكان ذلك اعترافاً من الراوي بأن أبي نواس هو آخر الشعراء الذين يحتكم إلى شعرهم ويستأنس بآرائهم ومقولاتهم وانطباعاتهم التي تتجسد في بنية القصيدة.

ولا يمكننا في هذا الصدد ونحن نتحدث عن شعر أبي نواس أن نغفل ما قاله المتنبي عنه في معرض حديثه عن موقف النواسي في رثاء البرامكة، إذ قال أبو الطيب المتنبي وهو في مجلس أبي البازيار وزير سيف الدولة وقربه ابن خالويه: "أبو نواس أشعر منْ أشجعَ لقوله في رثاء البرامكة"[79]:

لـــمْ يظلـــمِ الـــدهرُإذا توالـــت

فـــــهم مصـــــيباتُه دراكـــــا

كـــانوا يجيـــرون مـــن يعـــادي

مـــــنهم معـــــاداهم لـــــذاكا

(79) أخبار أبي نواس، ابن هفان المهزمي: 121. 122.

ثم قال أيضاً:

أبـــو نـــواس ومـــا أرى مثلَـــه

أشـــهر فـــي الـــدنيا مـــن الـــدنيا

قـــل للـــذي قـــاس بـــه غيـــره

أقســـت يســـارك علـــى اليمنـــى

إلا إننا نجد أبا نواس مع كثرة أدبه وعلمه خليعاً ماجناً فتىً شاطراً وهو في جميع ذلك فتىً حلو ظريف وكان يشحر الناس بظرفه وحلاوته وكثرة ملحه وكان أسخى الناس لا يحفظ ماله ولا يمسكه شديدَ التعصب لقحطان على عدنان وله فيه أشعار كثيرة يمدحهم ويهجو أعداءَهم وكان يتهم برأي الخوارج[80]، ولعلَ ما صدر منه من أشعارٍ قالها في الزهد والورع والتقوى والدعوة الى الصَّلاح والعمل الصالح تكشف لنا جوانبَ أخرى من جوانبِ شخصيته الإنسانية والتي غلب عليها الفتور والبأس إلا في سنواته الأخيرة فقد انتزع رداء المعاصي والذنوب وآب الى العبادة والدعوة الى سبيل النجاة والهدى.

(80) يُنظر: طبقات الشعراء المحدثين: 97

الفصـــل الأول
زهد أبي نواس آراء ونظرات

المبحث الأول
حقيقة زهد أبي نواس

لقد كان وراء انتشار تيار الزهد في القرن الثاني الهجري مجموعة من العوامل والأسباب المختلفة، ولعل من أبرز تلك الأسباب ما شهدته الحياة في القرن الثاني الهجري من اندفاع إلى اللهو والملذات والمتعة بالحياة فإذا بنا أمام تيار يدعو الى المجون والملاهي والإسراف قائم على عدد كبير من الميسرين وكبار رجال الدولة الذين دعوا إلى النهل من معين الحياة واستنفاذ فرصها في الملذات والمباهج فكان ذلك جميعا داع من دواعي نشوء تيار آخر مضاد لتيار المجون واللهو فظهر الزهد ردَ فعل مباشراً للمجون والخلاعة فإذا نحن امام تيار قويم رصين هادف يدعو إلى ترك الدنيا ومتاعها وترك مباهج الحياة والابتعاد عن ملذاتها وحضت على العبادة والالتجاء الى الله ودعت الناس الى العمل الصالح والمبادرة الى فعل الخيرات و الدعوة الى الصبر و الصلاح وبث

الأخلاق الحميدة كما دعت الناس الى البكاء والنواح على النفس باعتبارها صائرة الى الفناء والموت يقول أبو العتاهية [81]:

بَـــــيْنَ عَيْنَـــــيْ كـــــلِّ حَـــــيٍّ

عَلَـــــــمُ المَـــــــوْتِ يَلُـــــــوحُ

نُـــــحْ علـــــى نَفْسِـــــكَ يامِسْـــــ

كـــــــين إن كُنْـــــــتَ تنـــــــوحُ

لَتَمُـــــــــــوتُنَّ وانْ عُمِّـــــــــــ

ـــــــرتَ مـــــا عمـــــــرنُـــــــوحُ

فقد عمل هؤلاء الزُّهّاد على بث كل ما يمكن أن يقرب الإنسان من الله عز وجل والدعوة الى التقوى والابتعاد عن كل ما يمكن ان يصرف الانسان عن التفكير بالموت، وفي الوقت نفسه يحاولون أن يبعدوا كل إنسانٍ عن الغي والغلو في الملذات وشهوات الدنيا ومتاعها الزائل، وقد استثمروا الكثير من الأساليب التي تتعلق بالموعظة والنصيحة والدعوة إلى الله بالحكمة، وثمة من اتبع طريق آخر وذلك باتخاذه طريق الشعر لتحقيق الغاية ذاتها فانبرى الكثير من الشعراء الذين كتبوا في

(81) ديوان أبي العتاهية: 97.

الزهد وأوردوا المجتمع بقصائد امتازت بصدق تعبيرها وحلاوة أسلوبها ورشاقة ألفاظها ومناقشتها لموضوعات حياتية خاصة تمس حياة الإنسان العملية.

وفي انتشار تيار الزهد في هذا القرن تعددت آراء الأدباء في ذلك "فقد وقف العديد من الأدباء والباحثين عند ظاهرة الزهد في القرن الثاني الهجري وتعددت آراؤهم حول الاسباب والعوامل التي دعت الى انتشار هذه الظاهرة في تلك الحقبة من تاريخ الدولة العباسية، فمنهم من أعادها إلى أسباب دينية بحتة ومنهم من أعادها إلى الخلافات والصراعات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والمذهبية التي استجدت في تلك الفترة ومنهم منم أعادها إلى هذه الأسباب مجتمعةٌ"[82]، في حين رجّح الدكتور محمد مصطفى هدارة في كتابه (اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري) العاملَ الديني بالدرجة الأولى لأن يكون سبباً من أسباب ظهور هذا التيار إذ يقول: "ولكن هذا الدافع الديني الذي كان أساساً في حركة الزهد لم يكن وحده بطبيعة الحال بل لقد اختلط بعوامل سياسية واجتماعية وربما اقتصادية أيضا لا شكّ فيه أن نشأة الأحزاب السياسية وتطاحنها المرير الذي شهده القرن الأول والذي امتد الى القرن الثاني أيضا كان من الاسباب

(82) أبو نواس بين العبث والاغتراب والتمرُّد، أحلام الزعيم: 215.

التي دفعت عددا من الناس الى التماس النجاة بعيداً عن هذا الصراع السياسي فلم يجدوا مؤهلاً خيراً من الدين يلوذون به ويقصرون أنفسهم عليه ثم كان لظهور الدولة العباسية التي ترتكز على فكرة دينية أثرٌ كبير في انتعاش الحركة المذهبية وظهور العقائد والنحل المختلفة وهنا شهد القرن الثاني صراعاً من نوع آخر دفع عدداً من المتقين الى الاعتزال بعيداً عنه محافظةً منهم على عناصر إيمانهم فكان ما رأينا من نمو حركة الزهد وازدهارها في خلال القرن الثاني، ولا شكَّ أن التطور الاجتماعي الذي حدث في القرن الثاني كان له أثرٌ خطيرٌ في تيار الزهد وتطوره فشيوع تيار اللهو والمجون والزندقة ووجود فوارق واضحة بين الطبقات الاجتماعية في ذلك العصر كان لابد أن يوجدَ حركةً عكسية مضادة تعكف على تقوى الله وتقصر نفسها على العبادة، ولم يكن الوضع الاقتصادي للجماعة الإسلامية بعيداً عن التأثير في حركة الزهد فالفروق الواضحة بين الطبقات الاجتماعية أوجدت طبقة فقيرة بائسة لم تكن تستطيع شيئاً إلا أن تقنع بالكفاف من الرزق معتصمة بتقوى الله، وربما كان سوءُ توزيع الثروة أوضح بالبصرة منه في أيِّ مكان آخر وهذا هو السر في كثرة الزهاد بها، ثم أن تدفق الثروة على طبقة معينة في المجتمع الإسلامي من التجارة او من الفتوحات او ما أشبه أشاع الترفَ والإباحة وطلب اللذة المحرمة في المجتمع

وفتح الباب على مصرعيه أمام الشهوات والإلحاد ولهذا كان من الضروري أن توجد فئة تنعى على هذه الحياة الشاذة وترى مثلها الأعلى في الفضيلة لإنسانية في تجرد النفس عن الشّهوات والبعد عن مصادر الإغراء والفتنة"[83]، وفضلاً عن ذلك كله فإن ازدهار الزهد كذلك مرتبط برغبة بعض الخلفاء والوزراء في إنماء هذا التيار فقد كان للكثير من الخلفاء وعاظ وزهّاد، يلازمونهم بالموعظة والنصيحة والدعوة إلى الله عزّ وجل.

واتخذ الزهد على يد مجموعة من الشعراء الذين تبنّوه في القرن الثاني الهجري مسلكين اثنين هما[84]:

1. اتجاه يمثله الزّهّاد والمتنسكون الذين كانوا يؤكدون انقطاعهم لله وهجرهم زخرف الدنيا على تفاوت بينهم في درجات الزهادة والانفصال الروحي عن الحياة المادية وأبرز من يمثل هذا الاتجاه رابعة العدوية وأبو العتاهية إلى جانب رياح بن عمر القيسي وإبراهيم بن ادهم وأبي سليمان الداراني والفضيل بن عياض ووهيب بن الورد ومحمد بن

(83) اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، محمد مصطفى هدَّارة: 288. 289.

(84) يُنظر: أبو نواس بين العبث والاغتراب والتمرُّد: 217.

سيزين وهرم بن حيان وعلقمة الأسود وإبراهيم النخَعي ومحمد بن واسع وغيرِهم.

2. اتجاه يضم مجموعة من الشعراء الذين لم يُعرفوا لدى الأوساط العامة بالزهد وإنما عرفوا بالمجون وكُرِسوا بأذهان الناس كزنادقة وشعوبيين واباحيين وكان أبو نواس على رأس هذه المجموعة حسبما أشار العديد من النقاد على الرغم من ما أفاضت به زهدياته من عواطف دينية صادقة.

ولم يكن أبو نواس بمعزل عما يحدث حوله من حركات دينية ومذهبية فهو يحمل معتقداً وله في حياته انطباع مسنود برؤى فكرية اشتقها من واقع مجتمعهِ الذي يعيش فيه "ولم يكن أبو نواس عن يقين من اللادينيين لأنه لم ينقطع عن اللهج بالأديان وان كان يلهج بها لهجا لا يطيب للمتدينين الصالحين، وليقل من يشاء ما شاء في زندقته وعصيانه ولغو لسانه فإنه بعد كل ما يقال من هذا القبيل بعيداً جداً من أن يحسبَ من اللادينيين الذين صَغُرَ مكان الدين في نفوسهم فلم يشغلهم منه شاغل ولم يكن فيه ولا في اهله ما يهمهم على وجهٍ من الوجوه"[85]، فقد وَثَبَ أبو نواس الى الزهد ونظم فيه ابياتاً ليست باليسيرة في الزهد والتقوى والدعوة الى العمل الصالح

(85) أبو نواس في التحليل النفسي والتاريخي، عباس محمود العقاد: 176.

وتصوير الموت والندم على الذنوب والمعاصي فكان ذلك منهاجاً سلكه أبو نواس بعيداً عمّا قيل عنه في مجونه وعبثه وسكره واستهتاره فهو ينفي عنه أيَّ شيء يسيء إليه كونه مسلماً "وقال محمد ابن إلي عمر: سَمِعتُ أبا نواس يقول: والله ما فتحت سراويلي لحرامٍ قط، وقال له محمد الأمين ابن الرشيد: أنت زنديق فقال له: يا أمير المؤمنين لَستُ بزنديقٍ وانا أقول:

أُصلي الصلاة الخمسَ في حين وقتها

وأشـــهدُ بالتوحيـــدِ للهِ خَاضِـــعَا

وأُحســـن غســـلي إن ركبـــت جنابـــةً

وان جـــاءني المســـكين لـــمْ أكُ مانعـــا

واجعـــل تخلـــيط الـــرو افضِ كلِّهـــمْ

لنفحـــة بختيشـــوع في النـــار طائعـــا

فقال الأمين ويحك ما الذي ألجأك الى نفحة بختيشوع؟ فقال: به تمت القافية فأمر له بجائزة"[86]، وكان أبو نواس قد تقدمت به السن وعلته كبرةٌ وشيخوخة فأخذ ينيب الى ربهِ وينظم أبياتاً مختلفة في الزهد وفي أخباره ما يدل على انه تنسك

(86) البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير القريشي: 10 / 231.

مراراً وقيل انه حَجَّ في سنة (190) للهجرة فكانت تلك صحوات يفيق فيها ثم يرجع الى خطاياه[87]، وربما كان ما بدر عن أبي نواس من مجون وزندقة وبهتان في شعره وأفعاله ضرباً من التظرّف ومجاراةً لحال حياة صحبه ومجتمعه، ولما كان المجون سلوكا من سلوك الظرفاء المتظرفين فقد صار التزندق وهو في هذه الحالة المجاهرة والإعلان عن أشكال هذا المجون ضرباً من ضروب التظرّف وهكذا ارتبطت الزندقة في بداية أمرها بالظرف فكانت وسيلة اليه لدى كثير من الشعراء أي أن رغبة الشخص في اكتساب صفة الإنسان الظريف دفعته الى المجاهرة ببعض الأقوال التي تأباها العقيدة الصحيحة والى هذا المعنى يشير قول بعضِهم:

تزنـــدقْ معلنـــاً ليقـــولَ قـــومٌ

إذا ذكـــروه زنـــديق ظريـــفُ

وهذا المعنى للزندقة والتزندق ظلّ فيما بعد مرتبطاً بسلوك المجون لدى شعراء المجون حتى أن وصف الشاعر بالماجن الزنديق صار وصفاً تلقائياً مألوفاً على أن هذا الطراز من الزندقة والتزندق التماسا لمقوم من مقومات الإنسان الظريف

(87) يُنظر: العصر العباسي الاول: 226.

في ذلك العصر كان يخلف عن زندقة أولئك الذين كانوا يعتقدون عقائد دينية غيرَ إسلامية بخاصة العقائد الثانوية كالمانوية[88] والديصانية[89] والمرقونية[90] وعقيدة التناسخ الدهرية[91] وما أشبه وربما كان هؤلاء الاخيرون أكثر خطراً على المجتمع من أولئك لأنهم لم يكونوا متحللين من بعض تكاليفهم الدينية الإسلامية كما كان الزندقة والمجان بل كانوا ذوي عقائدَ مغايرةٍ لعقيدة الإسلام كلية يحاولون دسها في أدمغة الناس

(88) المانوية من العقائد الثنوية أي تقوم على معتقد أن العالم مركب من أصلين قديمين أحدهما النور والآخر الظلمة، عن الأنترنيت: ar.wikipedia.org/wiki.

(89) الديصانية نسبة إلى مؤسسها ديصان و هي فرقة مهرطقة كانت منتشرة في العراق في العصر العباسي، و كانت لهم مناظرات مع فلاسفة و متكلمي الإسلام آنذاك، عن الأنترنيت: ar.wikipedia.org/wiki.

(90) لمرقيونية هي عقيدة مثنوية مسيحية مبكرة وضع تعاليمها مرقيون السينوبي في روما حوالي سنة 144، آمن مرقيون يسوع المخلص الذي بعث به الله، عن الأنترنيت: ar.wikipedia.org/wiki.

(91) الدهريّة هو اعتقاد فكري ظهر في فترة ما قبل الإسلام، ويشتقّ المصطلح من الدهر لاعتبارها الزمان أو الدهر السبب الأول للوجود وأنّه غير مخلوق ولا نهائي، وتعتبر الدهريّة أن المادّة لا فناء لها، عن الأنترنيت: ar.wikipedia.org/wiki.

وقلوبهم حتى يحولوهم شيئاً فشيئاً عن العقيدة الإسلامية ولم يكن هؤلاء الزنادقة ماجنين بالضرورة بل ربما كانت بعض التعاليم التي تغيرت الى نمط من السلوك المضاد والتي ربما بدت للصالحين الطيبين من المسلمين مقبولةً مرضيةً كالدعوة الى الزهد في الحياة وتجنب أفعال الشر ومن ثم كان من الممكن أن يتهم الشخص بالزندقة دون أن يكونَ ماجناً في سلوكه العام بل ربما كان على العكس زاهداً أو داعيا الى الزهد كما حدث للشاعر أبي العتاهية[92]، ومما يدل على أن زندقة النواسي كانت عارضة وتابعة لدواعي معينة ربما تكون اجتماعية ما جرى بينه وبيت أصدقاءه وأصحابه من حديث حيث يعذلونه على ما يُعْلِنُ من مجونٍ وتمردٍ واستهتار والحاد في الدين بان يقولَ لهم في معرض دفاعه عن نفسه انَّ السُّكْرَ يستبد به فيجري الشك على لسانهِ إذ يقول لهم وقد لاموه: "والله ما أدينُ غيرَ الإسلامِ ولكن ربما نزا بيَ المجون حتى أتناول العظائمَ وما اعلم أني مسؤول عنه ومعذب عليه"[93]، ويقول: "والله إني لاعلمُ بما تقولون ولكن المجون يفرط عليَّ وأرجو أن أتوب ويرحمني الله"[94]، وهذا يعدُ

(92) يُنظر: في الأدب العباسي: 263 . 265.

(93) أخبار أبي نواس: 38.

(94) يُنظر: الزندقة والشعوبية في العصر العباسي الاول: 103.

موقفاً صريحاً لا غبار عليه من أبي نواس يؤكد فيه موقفه من الزندقة والتزندق، إذ إنه لم يكن سوى عابثاً في الموضوع ولم يكن يتبنى الفكر بإطاره المرجعي والفكري مثل ما هو موجود عند غيره من الزنادقة والمجان والخلعاء الذين انتهجوا الشعوبية والزندقة واحترفوها وجعلوها نصب أعينهم حتى لاحقتهم الدولة وتعقبتهم وحاربتهم وقتلت الكثير منهم، ومن جهة أخرى فإن موت أبي نواس كان نتيجة لتردي وضعه الصحي والمادي والاجتماعي، ولو كان زنديقاً لكان قد قتل مع الذين قتلوا بتهمة الزندقة من معاصريه وأصحابه.

ولعلَّ التوفيق والسداد في الوصول الى رؤيةٍ مطلقة خاصة بحقيقة زهد النواسي لؤلئك الذي شككوا في حقيقة زهده وفي صدق مشاعره لم يكن حاضراً معهم ورؤيتهم المقتضبة المجتزأة فقد بنى أولئك الذين نسفوا ما لأبي نواس من شعر زهدي تصوراتهم على معطيات أحادية المأخذ فراحوا ينهلون من سيرة أبي نواس في صباه وشبابه وما فيها من مجون وخلاعة وعبث فما كان عليهم الا أن ينكروا وبشدة كلَّ ما لهذا الشاعر من شعر جاء في الزهد والتنسُّك من الدعوة ال فعل الخير والتوبة والصفح والعفو وذكر الموت والتدبُّر في خلق الله ذلك أن الحكم لم يكن عاماً شاملاً بل تناول جانباً من جوانبِ حياة أبي نواس في إغفال جوانبَ أخرى من حياته نفسها.

ينبغي أن نعلم بأنه مثلما كانت هنالك أدلة جازمة تثبت بأن أبا نواس في أثناء شبابه وصباه كان ماجناً خليعاً عابثاً توجد أدلة أخرى تثبت لنا بأن الإنسان ذاته أصبح في أخريات حياته زاهداً متنسكاً داعياً الى الخير ناهياً عن المنكر آملاً في عفو ربّهِ ورضوانهِ وصفحهِ عنه إلا أن عبث هذا الزاهد ! ومجونه وخلاعته في أيام صباه وما أثر عنه من أشعار في الغزل والخمرة والطرد والمجون كوَّن لدى الناس عنه صورةً إباحية (سافرة) لا تكاد تلتقي بأي شكلٍ من الأشكال مع الزهد أو الورع أو التنسك أو التصوّف ما أدى في نهاية الأمر إلى أن تلك الأشعار التي أجاد فيها أبو نواس أيمة أجادةٍ في التعبير عن عواطفه وروحه الصادقة وإعلان التوبة وطلب المغفرة لم تكن قادرة على أن تكسي أبا نواس ثوباً جديداً يخالف ما كان يرتديه في أيام صباه أي أن هذه الأشعار لم تنجح في أن تجعل من أبي نواس زاهداً مشهوراً بزهده ولم تشكِّل عنده ظاهرة أدبية ملحوظة كما هو الحال مع أبي العتاهية الذي تزهد وكان زهده علامةً شكلت ظاهرة واضحة المعالم في سيرته وشعره وحياته.

وما قاله ابن هفان يوثق ذلك إذ يقول: "حدثني يوسف بن الداية أن أبا نواس كان محافظاً على صلاته إلا أن يسكر وكان

يقضي ما يفوته منها حين يفيق من سكرهِ"[95]، فهو يؤمن بالله وبوحدانيته ويؤمن باليوم الآخر ويصدق بالبعث والحساب ومن ذلك قوله[96]:

أَلَــمْ تَرَنــي أبحــتُ اللهــوَ نَفْســي

وَدِينِي واعتكفْــتُ علــى المعَاصــي

كَــــأنّي لا أعـــــودُ إلـــى المعـــــادِ

ولا أخشــى هنالــك مِــن القَصاصــي

وقوله أيضًا[97]:

وهـــذي القيامـــة قـــد أشـــرفت

تريـــــكَ مخـــــاوف فزعاتِهـــــا

وما جاء في مناجاته الرائعة وتلبيته الخاشعة في يوم حجه فيقول[98]:

---

(95) أخبار أبي نواس: 49.

(96) ديوان أبي نواس: 622.

(97) م، ن: 622 .

(98) م، ن: 623.

إلهنـــــــا مـــــــا أعـــــــدلك

مليـــــك كـــــلِّ مـــــن ملـــــكْ

لبيت قد لبيت لكْ

لبيـــــك أن الحمـــــد لـــــكْ

والملـــــك لا شـــــريك لـــــكْ

مـــــا خـــــاب عبـــــدٌ ســـــألكْ

أنـــــت لـــــه حيـــــث ســـــلكْ

لولاك يا ربَّ هلكْ

ولعل موقف أبي نواس من الزندقة يكون اكثر وضوحاً في سياق حديثه عن زندقة حماد عجرد ويقف عبد الرحمن صدقي على ما قاله أبو نواس في حماد عجرد مستبعداً من خلال ذلك أن يكون أبو نواس زنديقاً كما كان يظهر من مجون: (كنت أتوهم أن حماد عجرد انما يرمى بالزندقة لمجونه في شعره فإذا هو إمام من أئمتهم وإذا له شعر مزاوج بيتين بيتين يقرأون به في صلواتهم) ما يدل على استنكار أبي نواس لهذا الصنف[99]، وبعده عن الطريق الذي كان يؤدي إلى الزندقة والتطرف في اللهو والغلو في العبث.

(99) يُنظر: أبو نواس بين العبث والاغتراب والتمرد: 230.

ولكن أبا نواس كان حازماً ذكياً في مواجهة الاتهامات التي يوجهها اليه بعض الناس كاتهامه بالزندقة وسرقة الأشعار ومحاولة سلخ الأشعار الزهدية التي نظمها عنه فكان في كلِّ مرةٍ يثبت لمن يريد له ذلك بأنه مؤمن بالله تبارك وتعالى وأنه مسلمٌ متيقِّن مدرك تمام الإدراك أن الذنوب كلها لا يمكن أن تحضَ بمجرد المقارنة بمغفرة الله الواسعة التي وسعت كلَّ شيءٍ فنجده ينظم أشعاراً لا يمكن بأيِّ شكلٍ من الأشكال إغفال ما فيها من مشاعرَ حقيقية لإنسان مؤمنٍ حقَّ الإيمان بحقيقة المغفرة والعفو والصفح بعد التوبة والاستغفار والعودة الى المسلك الصالح ونور الهداية.

ولعلَّ ما كان يتبادر في ذهن أبي نواس من تصورات وانطباعات إيمانية حقيقية عن التوبة والغفران والصفح كان نتيجةً لمعرفةٍ دقيقةٍ بحقيقة الدين الإسلامي ومبادئه السامية من جهة والإيمان بكتاب الله المنزَّل وما فيه من أحكام وتشريعات روحانية من جهةٍ أخرى فقد كان أبو نواس يجنح عادة الى المحاججة والتبرير عندما يعترضه أحدٌ يعضه فيقرأ عليه ما جاء في كتاب الله عز وجل من آيات قرآنية توحي بأن الله يغفر الذنوب جميعا الا من أشرك به وان الله يتوب على عبده الضال المسكين الذي لا يمكن أن تحظى ذنوبه ومعاصيه بمجرد المقارنة بالمغفرة الواسعة والرحمة الربانية التي توعَّد الله تبارك وتعالى عباده بها

وان تلك الذنوب التي يقترفها الإنسان انما هي ذرة في فلاة الغفران فلربما كان أبو نواس جاداً في حقيقة تيسير تلك الدلالات البيانية ما أخذ يسلك مسلك المؤمن العاصي! الصادق الآمل في عفو ربّه الكبير ومغفرته الواسعة التي اتسعت كل شيء.

كما ترى أحلام الزعيم "أن أبا نواس وإن كان يتظاهر بالظرفِ ويدعو الى الاستغراق بملذات الحياة فإنه لمْ يكن جاداً بكل ما يقول بل كثيراً ما كان يتظاهر بالعبث واللهو تجسيداً لنزعة الظرف ومجاراةً لبعض الظرفاء الى جانب اتخاذه من المجون ستاراً من قوة الصراعات السياسية ويقيه من بطش أولي الأمر ويحوَّل الأنظار عن تشيعه لآل علي ويقربه في الوقت نفسه من الخليفة وألي الأمر"[100]، لكن وهنالك تياراً آخر يرى أن زهد أبي نواس لم يكن إلا افتراضاً يجافي الحقيقة وهذا الرأي يدفع بزهد أبي نواس الى ما لا يحتمل فقد قال الباحث علي الزبيدي في مجموع ما ترك أبو نواس من أبيات في الزهد: "لقد كان أبو نواس ماجناً سكّيراً وكان شعره من خير ما نظم في فنون المجون والخمر فكيف يمكن أن ينظمَ في الزهد؟ زدْ على هذا أن كثيراً من شعره يدل على استهتاره بالدين واستخفافه بالفقهاء والعلماء ألا يجوز ان تكونَ زهدياته من صنع بعض الزهاد بقصد اختلاق الأمثال

(100) أبو نواس بين العبث والاغتراب والتمرد: 231.

للعبرة وقوة التأثير، كأنّي بهم يقولون: انظروا الى هذا الفاسق الذي كان سادراً في غيّهِ كيف نَدِمَ ندماً شديداً وانقلب تائباً يستغفر الله ويعلن أسفه وخوفه من العقاب"[101]، لكن هناك من رد على رأي الزبيدي فهذا الدكتور محمد مصطفى هدارة يشكك في مقولة الزبيدي: "وهذا الشك الذي يخالج الزبيدي لا اعتقد أن له ما يبرره فمن غير المعقول أن يُلَفَّقَ الزهاد الشعر ويلفقوا هذه المجوعة من الأخبار والروايات التي تحفل بها كتب الأدب والتي تشير من قريب او من بعيد الى أشعار أبي نواس في الزهد ثم ما هو الشيء الغريب في ظهور مثل هذه الأشعار منسوبةً الى أبي نواس؟ ألمْ يكن تيار الزهد قوياً جارفاً في القرن الثاني كما بيننا؟ ألمْ يوجد شعراء ماجنون أشدُّ مجوناً من أبي نواس ثمَّ تأبوا وتزهدوا والتزموا ذلك في اشعارهم؟ فلماذا نشكُّ في توبةِ أبي نواس إن كان قال زهدياته قبل وفاتهِ كما ذهبَ بعضُ المؤرخين والكُتَّاب ولماذا نشكُّ في صدقِ إيمان أبي نواس الذي يتجلى في ساعات صحوةٍ من الإثم إن كان قال زهدياته في فترات مختلفة من حياته؟ أنا شخصيا لا أرى داعياً الى هذا الشك على كلا الرأيين وارى أن زهديات أبي نواس شيء طبيعي ومن المعقول جداً أن تصدر عنه والذي يصدَّق هذا الرأي شعرُ أبي نواس نفسُهُ في

(101) زهديات أبي نواس، علي العبيدي: 25. 26.

الزهد منه لا يتضمّن نظرات في التصوّف ولا يكشف لنا عن تبحّرِ صاحبهِ في مجالات الزهد وتقوى الله بل هو يتضمن نظرات في الزهد وتديّن ومجموعة خبرات في سوء الحياة الدنيا التي تنتهي بالفناء وهي خبرات مجوب عرف اللهو والإثم ومارسها حق الممارسة"[102]، إذنْ كان أبو نواس جزءاً من مجتمعه فلا غرابةَ فيما يصدر عنه سواء أكان مجوناً او زهداً او ميولاً الى مذهبٍ بعينه او تصوفاً الى آخر ذلك، فهو يخضع لجملة من المرجعيات الفكرية التي أسهم المجتمع في إنتاجها وتصديرها، فلم تكن حالته شاذةً كما يتصور الكثير من النقاد والكتاب الذين كتبوا على أبو نواس.

وكما لا يمكن نفي ما لأبي نواس من أبيات جاءت صادقة في التعبير عن إيمانه بالله واليوم الآخر وعبّرت عن نفحات إيمانية صادقة في حياتهِ، يرى آخرون أنه لا يمكن أن نُعِدَّ أبا نواس شاعراً زاهداً وبخاصة عندما نلقي نظرةً الى ما قيل في أبي نواس في مستهلّ حياته من مجون فاحشٍ ورؤية خاصة للحياة وموقفٍ ساذجٍ من مشكلة الموت والحياة من فحشٍ وخلاعةٍ وإباحية وتخَلّ عن مبادئ الدين الإسلامي الحنيف، فهم يرون أن أبا نواس معروف بخروجه عن الطقوس الدينية فلا يجوز بذلك

(102) اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري: 341.

أن نضعه في صفِّ الزُّهاد أو نعدُّه واحداً منهم على الرغم من التجاؤه الى الله في أخريات حياته فلا يكون ذلك كافياً لان يجعل الله منه واحداً من الزهاد وهو يطلب عفوه وغفرانه وصفحه[103]، والحق أن ما قاله أبو نواس من أبيات في الزهد كانت صادقة في التعبير عن ما يداعبه من شعور فإذا نحن إمام زهد صادق ايجابي هادف، تقول الدكتورة أحلام الزعيم: "وإذا كنا نستطيع الوقوف على بعض أبياته وقصائده التي نظمها في أواخر عمره بعد أن أرهقته الحياة ومزَّقت طموحاتهِ الصراعات السياسية والاجتماعية والفتن الكثيرة ونرى فيها بعض ملامح الزهد فان زهد أبي نواس إن حقَّ أن نسميه زهداً لمْ يكن زهداً سلبياً بل كان زهداً ايجابياً لا يحرم الطيبات التي احلَّها الله ولا يدعو الى الإعراض عن الحياة بحجة الخوف من الموت او بحجة اكتساب الآخرة التي هي الهدف الحقيقي للزهاد"[104]، فهو يسير في اتجاه جديد على حياته الخاصة بعدما عهد عنه وعرف عنه أنه كان يسير في اتجاه المجون والخلاعة والعبث وأنه صاحب الكثير من الخلعاء والمجان، لكنه صحا بعد ذلك وآب وتاب وسلك مسلكا جديداً فرويت عنه الكثير من الأشعار التي قالها في

(103) يُنظر: أبو نواس بين العبث والاغتراب والتمرد: 232.

(104) أبو نواس بين العبث والاغتراب والتمرد: 232.

الزهد، وصحّ زهده بالنظر إلى تلك الروح التائبة التي كانت تتضح في قصائد الزهد.

والحقُّ أن كلَّ ما يمكننا قوله في حقيقة زهد أبي نواس أنه تزهَّد وتنسَّك وتاب وآب الى مسلك الرضا والصلاح فنجد له شعراً إسلامياً تتعدد في المعاني والمضامين صوَّر فيه مشاعرَه تصويراً صادقاً وعبَّر بهِ عنها تعبيراً موثوقاً عن الحقيقةِ التي كان يؤمن بها فتشكَّلَ شعرُه هذا وتلوَّن بألوان دعواه الزكية فنجده يذكر الموت ويطيل الوقوفَ عليه إذ كان لأبي نواس في شعره الزهدي هذا وقفة متأملة في حقيقة الموت والفناء ولعل ما دفع بالنواسي الى الحديث عن الموت بهذه الكثافة هو طبيعة هذا المعنى وما فيه من تدبير ووقار وعظة وعبرة لمن تعنيه العبرة فكان يجنح الى اسلوب التذكير والترغيب والترهيب في معنى الموت بغيةَ إصلاح الشأن والنجاة من النار والفوز بنعيم جنةٍ عرضها السموات والأرض وإيضاح قيمة الحياة الدنيا مقارنةً بالآخرة، فكان يذكر الموت تارةً الدعوة الى العمل الصالح وترك الذنوب والمعاصي تارةً أخرى كما كان يدعو الى التدبر والتفكر في خلق الله والتأمل في خلقه وتصويره ويدعو الى الوقار والرضا والصبر والعبادة والطهارة فهذه المعاني والمضامين المتنوعة التي تلوَّن بها شعر أبي نواس الزهدي إنْ كانت في حقيقتها تدل على شيء فإنما تدل على صدق العاطفة والتعبير وحقيقة المشاعر الفياضة التي تبنَّاها

أبو نواس وجسدها فيه فكان شعره الزهدي شاملاً مطلقاً تناول مضامين ومعاني متعددة ما يدل على أنه كان أيضاً على دراية وبينة من أمور دينه ودنياه وأنه انما صوَّر في تلك الأشعار مشاعره الصادقة الحقيقية رغبةً منه في أن يستشعر بحلاوة الإيمان ولذة الروح الإيمانية.

كما أن ابرز ما يمكن أن يقال في الميزة الفنية التي تميز بها شعر أبي نواس الزهدي أنه عمد الى اتباع أسلوب أو طريقة سهلة سلسة مبسطة في التعبير والصياغة فلم يعمدْ أبو نواس في طريقة نظمِهِ إلى إعاقةِ إيصال المعاني الروحيةِ التي بثَّها في شعره الزهدي بالكثير من المعوقات والمشتتات الدلالية التي ما أن تفي بغرضها الفني الجمالي الا تضع أمام اكتشاف المراد والدلالة حواجز فنية ولعل الإكثار من المحسنات البديعية يضع من القيمة الجمالية للنص ومن ثم الفتور في غاية النظم والابتعاد عن الهدف أو الدلالة، وكان أبو نواس يختار ألفاظا سهلة مفهومة متناسقة منتظمة يتخللها إيقاع موسيقي جميل لم يبتغِ منها سوى إيصال الدلالة والتلويح بالمعنى الحقيقي بعيداً عن الإغراق بالمحسنات البديعية واللفظية.

إلا أن هذا الأسلوب الذي اتبعه أبو نواس في شعره الزهدي كان مثلما وقاه من التزويق اللفظي والبديعي أوقعه في

دوامةٍ أخرى ذلك أن شعر أبي نواس الزهدي كان أقل حظاً من الموضوعات التي نظم فيها أبو نواس كالغزل والخمرة والمديح والمذكرات والطرد من الناحية الفنية الإبداعية فلم يستعمل أدواته البلاغية الإبداعية التي اعتاد الكثيرون على التماسها في الموضوعات الأخرى التي نظم فيها كتبادل وظيفة الحواس ووصف المشبهات فكانت تلك المعاني التي جاءت في زهده أقل من حيث المستوى الفني من بقية الموضوعات الشعرية التي نظم فيها، وربما يعود ذلك الى مجموعة من الأسباب منها أن أبا نواس قد قال أثر شعره الزهدي وقد طعن في السن أي في أخريات حياته على الرغم من أن بعض قصائده قد قيلت في أيام صباه وشبابه أي أثناء مجونه وعبثه كما أن حاجة أبي نواس الى أن يثبت للناس الرؤية الدينية التي يؤمن بها وانه مسلم كبقية المسلمين كانت أكبر من حاجته ليثبت لهم براعته في النظم لا سيما أنه كان معروفا عند أكثر الناس بالملكة والإبداع والمستوى الفني الرفيع الذي تميزت به أشعاره كما أن طبيعة الشعر الإسلامي الدعوي بشكل عام وشعر الزهد بشكلٍ خاص تفرض على الشاعر أو الناظم صيغةً معينة في النظم ينبغي عليه أن لا يحيد عنها تجعل منه أكثر التزاماً في تصوير مشاعره الحرة أي أن هذا الصيغة من النظم الخاصة بالشعر الإسلامي وأشعار الزهد تحجب بوجه الشاعر منافذ القول التي تصنع من العمل صرحاً

فنياً متناسقاً على خلاف ما موجود في الموضوعات الأخرى كالغزل والخمرة والوصف والمديح وحتى الرثاء وهذا لا يعني أن شعر أبي نواس الزهدي قد خلا من الميزات فنية إذ أن صدق المشاعر التي أودعها أبو نواس في شعره هذا أسهم بشكل كبير في رفع المستوى الفني لذلك الشعر ورقي إيقاعه وألفاظه وتراكيبه والصور البيانية التي جاءت فيه.

كما كان إيمان أبي نواس بالله تعالى وبسعةِ رحمتهِ وصفحهِ عن الذنوب سبباً في وقوعه في بعض الخطايا فقد اعتمد على فكرة العفو في الإسلام وسَوّغ بها طلبَه للهو واللذة وإغراقه في البطالة والخلاعة واقترافه الآثام والمعاصي وتظاهره بالعبث والشك فهو يردد في شعره مراراً أن رحمة لله واسعة وان المسلم مهما يكبر ذنبه فان الله يغفر له ويصفح عنه فهو يقول[105]:

يا رَبِّ إنْ عَظُمَتْ ذُنُوبِيَ كَثْرَةً

فَلَقَد عَلِمْتُ بأنَّ عفوكَ أعْظَمُ

إنْ كانَ لا يَرجُوكَ الا مُحسِنٌ

فَبِمَنْ يَلُوذُ وَيَسْتَجِيْرُ المُجْرِمُ؟

(105) ديوان أبي نواس: 618.

أدعــوك ربَّ كمــا أمــرتَ تضــرعاً

فــإذا رَدَدتَ يَــدي فَمَــنْ ذَا يَــرْحَمُ؟

مــا لــي إليــكَ وَسِــيلةٌ إلا الرَّجَــا

وجميــلُ عفــوِكَ ثُــمَّ اَنَّــيَ مُسْــلِمُ

ومما لاشك فيه أن أبا نواس شاعرٌ يمتلك ثقافة فكرية عالية وله أدواته الفنية التي تجعل من شعره مُثلاً يُحتذى في ايّ معنىً كان، وشعر أبي نواس في الزهد والتوبة لما فيه من صدق وإبداع وتصوير فني رائع اثارَ غيرةَ شعراء الزهد في عصره وهم يتمنون ان لهم شعرا كما لأبي نواس في زهده وخير ما يمكن أن يدلل على هذا القول ما قاله أبو العتاهية[106] "قلت عشرين ألف بيت في الزهد وددت أن لي مكانها الأبيات الثلاثة التي قالها أبو نواس"[107]:

يــــــا نواســــــيُّ تــــــوقّرج

أو تعــــــــــزَّأو تصــــــــــبّرْ

(106) تهذيب تاريخ دمشق، ابن عساكر: 4 / 263.

(107) ديوان أبي نواس: 310.

إن يكـــــن ســـــاءكَ دهـــــرٌ

فـبمـــــا ســـــرَّكَ أكثـــــرْ

يـــا كبيـــر الـــذنبِ عفـــو الـــ

ـــــله مـــــن ذنبِـــــك اكبـــــرْ

ويبـدو أن توبـة أبـي نـواس كانـت توبـة نصـوحة إذ "أن باسـتطاعتنا القـول أن أبـا نـواس وإن بقـى طـول حياتـه مخلصـاً للحيـاة داعيـاً إليهـا رافعـاً رايـة العفـو فـوق كلِّ الـذنوب والمعاصي فإنـه وان كـان قـد آبَ الى الله وتـاب توبـةً نصـوحةً ولكـن حسـب معاييره وفهمه للدين الإسلامي وليس حسب معايير الكثيرين من أبناء عصره ولأن أخذنا ما قاله أبو نواس في الخطيئة على محمل الجد فان الخطيئة قادت أبا نواس الى الإيمان بدلاً من أن تقوده الى العـدم قادتـه كمـا قـادت (كيركجـارد)[108] باتجـاه اكتشـاف الحقيقة ومن ثم اكتشاف العلاقة بينه وبين الإله، فهو يقول:

(108) فيلسوف ولاهوتي دنماركي كبير. كان لفلسفته تأثير على الفلسفات الوجوديـة المؤمنـة (عكـس الوجوديـة الملحـدة للفيلسـوف الفرنسـي جان بول سارتر، عن الإنترنيت: arz.wikipedia.org/wiki.

افـــرُّاليـــكَ ومنـــكَ وأيْـــنَ الاّ

اليـــكَ يَفِـــرُّمنـــكَ المســـتجيرُ

لقد قادت الخطيئة أبا نواس الى الإيمان "فالخطيئة في مفهومها الديني او التقليدي لمْ تكن تُقلق أبا نواس لأنه كان يؤمن بالعفو مُعتبراً أن الخطيئةَ تقرَّبه من الله ولا تبعده عنه وانه من خلال الخطيئة يستطيع اكتشاف الحقيقة ويكتشف علاقته الحرة بالإله"[109]، لذلك فإن أبا نواس نظم الكثير من القصائد التي يقارب فيها هذه المعاني المهمة[110]:

تَكَثـرْمـا اســتطعتَ مــن الخطيــا

فانِّـــكَ قاصـــداً ربَّـــاً رحُومـــا

سيفضـــي ذاك منـــك الـــى نعـــيمٍ

وتلقـــى ماجـــداً صـــمداً شـــكوراً

فأبو نواس كثيراً ما يردد الآيات القرآنية الكريمة والتي تدل على المغفرة والصفح وقبول التوبة كقوله تعالى "إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن

(109) أبو نواس بين العبث والاغتراب والتمرد: 234.

(110) ديوان أبي نواس: 730.

يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ"[111]، وقوله تعالى "قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ"[112]، وبذلكَ يكون أبو نواس قد اكَّدَ صلتهِ وانسجامهِ مع الدين الإسلامي وتعاليمه السمحةِ، وقد علَّقَ الدكتور عز الدين إسماعيل في كتابه (في الأدب العباسي الرؤية والفن) على حقيقة معتقد أبي نواس في الذنوب والخطيئة والعفو في معرض الحديث عن أبيات أبي نواس[113]:

يــا رَبِّ إنْ عَظُمَــتْ ذُنُــوبِيَ كَثْــرَةً

فَلَقَــد عَلِمْــتُ بــأنَّ عفــوكَ أعْظَـمُ

إنْ كــانَ لا يَرجُــوكَ إلا مُحسِــنٌ

فَــبِمَنْ يَلُــوذُ وَيَسْــتَجِيْرُ المُجْــرِمُ؟

أدعــوك ربَّ كمــا أمــرتَ تضــرعاً

فــإذا رَدَدتَ يَــدي فَمَــنْ ذَا يَــرْحَمُ؟

---

(111) النساء: 48.

(112) الزمر: 53.

(113) ديوان أبي نواس: 618.

مـــا لـــي إليـــكَ وَسِـــيلةٌ إلا الرَّجَـــا

وجميـــلُ عفـــوِكَ ثُـــمَّ اَنَّـــيَ مُسْـــلِمُ

إذ يقول الدكتور إسماعيل: "أن هذه الأبيات ليست بعيدة عن الجدل في أمر الثواب والعقاب بل ليست بعيدة عنه حتى في أسلوبها فذنوب الشاعر كثيرة حقاً ولكن ماذا تكون هذه الذنوب الى جانب عظمة عفو الله؟ ثمَّ اذا كان المحسنون وحدهم هم أصحاب الرجاء في العفو في حين أنهم لا يحتاجون إليه بحكم ما قدَّموه من إحسان فإلى من يلجأ المجرمون؟ هل يسعهم شيء سوى رحمة الله التي وسعت كلَّ شيء وإذا لم يكن المولى رحيماً بهم فمن يرحمهم؟ كل هذا جدل واضح الهدف منه نقض ما قالت به المعتزلة في مسألة وجوب العقاب للمذنب وانتفاء العفو عنه ولكن بايِّ حقٍّ يلتمس الشاعر لنفسهِ العفو؟ لا شيءَ سوى انه مسلمٌ وكأنَّه بذلك ينقض مرةً أخرى ما ذهب اليه المعتزلة من أن الإيمان مع الكبيرة ينتفي ويرى أن إسلامه يمكن أن يكون شفيعاً له او انه لا يفقده الرجاء على الأقل في نيل عفو الله"[114]، ونستنتج من كلِّ ما تقدَّم أن أبا نواس كان صادقاً في توبته وصادقاً في أوبته الى الله عزَّ وجلَّ وصادقاً حتى مع نفسه لذلك "لا يمكن أن يرمى بالإنفاق بأيِّ حالٍ من الأحوال وليس المشاعر

(114) في الأدب العباسي: 221.

الأخلاقية والدينية التي تلوح في بعض قصائده مجرد نفاق بل تعدُّ تعبيراً عن عاطفة مخلصة ولهذا فأبو نواس لا يسمح للتحرج الديني بالوقوف في سبيله بل هو يحثُّ الآخرين على انْ لا يحجموا عن ايَّ اسرافٍ لان الرحمة الإلهية أعظم من جميع الخطايا التي يستطيع الإنسان اقترافها"[115]، وهنالك من يقول أن لهو أبي نواس وعبثه ومجونه إنما هو وجه من وجوه ضجره من الحياة وازدرائه لها على خلاف ما فعل أبو العلاء المعري حينما كان يلتجأ الى الزهد والحرمان لضجره من الحياة، فيقول الدكتور طه حسين: "إن فنَّ الزهد قد أجاد فيه أبو نواس فلو انك أردتَ أن تبين فلسفة أبي نواس لما استطعت الا أن تقول: أن أبا نواس كان يزدري الحياة ويسخر منها ولعلك تدهَشُ اذا قلت لك أني اشبِّه أبا نواس بابي العلاء تدهش لان أبا نواس مشرق مبتسم في حين كان أبو العلاء عابساً مكتئِباً وتدهش لان أبا نواس رجلَ لذةٍ في حين كان أبو العلاء رجل زهد وحرمان ومع ذلك فأبو نواس شبيه بابي العلاء كلاهما كان يزدري الحياة وكلاهما كان يمقتها مقتاً شديداً وكل ما بينهما من فرق أن أبا نواس كان يكره الحياة ويزدريها ويستعين عليها باللذة واللهو وان أبا العلاء كان يكره الحياة فيستعين عليها بالزهد والحرمان

(115) تاريخ الأدب العباسي، نيكلسون: 68 . 69.

والحـقُّ أن المتشـائمين ينقسـمون الى هـذين القسـمين فمـنهم متشـائم يضحك ويلهـو ومنهم متشـائم يعبس ويبكي وهـم جميعـاً متشـائمون تقوم فلسـفتُهم على هذه القاعدة وهي أن الحياة شيء ليس بذي خطر فلتقضَ في لعبٍ ولهوٍ فلتقضَ في حكمة وزهد وهذا الشيء يختلف باختلاف الأمزجة"[116]، وما يهمنا من هذا القول أن أبا نواس كان زاهداً ولمْ يأخذ زهده طابع الإعراض عن الحياة او الإعراض عن المباهج ولمْ يأخذ طابعاً تشاؤمياً سلبياً بل اخذ الجانب الذي يتماشى وتكوينه الروحي ومع فلسفته الخاصة بالحياة ومع فهمه لتعاليم الدين الإسلامي وجوهر هذا الدين الذي يرى فيه أبو نواس مخرجاً من الذنوب وانه كان يرى أن حرمان النفس من الطيبات وأخذها بالخشونة والغلظة فقط ليس من الزهد في شيء وهذا ما يذكرنا بعدد من المتصوفة البـاطنيين الـذين قتلـوا لاتهـامهم بـالكفر والزندقـة ومـنهم السهروردي والحلَّاج ومحي الدين بن عربي وغيرُهم[117]، ومما يمكن الحديث عنه في هذا الصدد هو الحياة الخاصة التي عاشها أبو نواس منذ صباه، فقد أباه في سنٍ مبكرة، ولاحقته سمعة أمه السيئة التي أرقته كثيراً وكانت السبب الرئيس الذي

(116) حديث الأربعاء، طه حسين: 457.

(117) يُنظر: أبو نواس بين العبث والاغتراب والتمرد: 237.

دفعه للهروب من البصرة باتجاه بغداد، فضلا عن الظروف المعيشية الصعبة التي قاساها النواسي في حياته فكانت جميعاً سببا رئيساً وراء هذه النفحة التي ظهرت له في أخريات حياته، فالزاهد يخضع للكثير من المتغيرات والسياقات الخارجية التي تجعله يزهد في الدنيا وما فيها من مفاتن ومثيرات.

فكانت نظرةُ أبي نواس الى الدين وقضايا الإيمان التي خَرَجَ بها عن المألوف في فهم الدين قد تكون ثمرة من ثمار تعمقه في فهم الحياة وتوازع الإنسان الى جانب كونها مثمرة من ثمار اطلاعه على الفلسفات والأديان والمذاهب وتأثره بالأرجاء الذي يرى أنه لا يضرُّ مع الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة وان صاحب الكبيرة لا يُعَذَّبُ أصلاً و إنما يكون العذاب دائماً للكفار وأن الأعمال هي شيء آخر فالإيمان تصديق القلب والأعمال من الجوارح والتصديق لا يزيله اتيان كبيرةٍ فالمصدق المعصي هو مؤمن عاصٍ ولم يزُلْ عنه وصف الإيمان لعصيانه ذلك أن إيمانه روحي خالد ومعصيته حسية مجردة عن الروح ومرتبطة بالحسيات الجسدية والمادية غير المجردة[118]، ولعل من أهم مميزات شعر أبي نواس الزهدي دعوته الى التوبة والى العمل الصالح والإقلاع عن الشرور والمعاصي والدعوة الى

(118) يُنظر: م، ن: 235.

ممارسة الإنسان لدوره في الحياة والتمتع بطيباتها[119]، كما يلاحظ في شعره الزهدي انه يلهج كثيراً بذكر الموت والتفكُّر في خلق الله ويدعو الى تقوى الله وخشيته والى الوقار والرضا ولا يخلو شعره الزهدي من أبيات في الحكمة والعفو والصفح والدعاء وضرورة الطلب من الله وحدهِ، وهذه المعاني جميعاً تشكل الموضوعات الأساسية التي عبَّرَ من خلالها أبو نواس عمَّا تجيش به نفسه تعبيراً صادقاً يمثل رؤيةً وموقفاً شخصيين كان أبو نواس من خلالهما ينظر الى الحياة ويربط سلوكَه بها عن طريق الفعل أو القول أو النية.

(119) يُنظر: م، ن: 237.

المبحث الثاني
موضوعات الزهد في شعر أبي نواس

لقد تضمن شعرُ الزهد عند أبي تواس العديد من الموضوعات والمعاني التي تدلُّ جميعاً على صدقهِ في التعبير عن الخلجات الإيمانية التي تفيض في روحه بين الحين والآخر، فتارةً نجده يدعو الى العمل الصالح، وترك العمل الطالح وتارةً أخرى، كما يدعو الى تقوى الله وخشيته ولزوم عبادته وتارةً، أخرى يلهجُ بذكر الموت طالباً هارباً! كما يدعو الى ترك المعاصي والموبقات وترك الدنيا وملذاتها والتَّفَكُّر في خَلْقِ الله عزَّ وجلَّ وإيراد الحكمة الدينية في شعره الزهدي، لما في ذلك من عبرٍ وصورٍ يعتبر منها ألوا الألباب، ذلك أن هذه الدنيا ليست الا حياةً عابرة وما هي الا مزرعةٌ للآخرةِ فلا تخلو زهديات النواسي من الصياغة الرشيقة والألفاظ العذبة والموسيقا الجميلة التي تنسجم وما يصوره أبو نواس في زهده وتقاه وورعه من خلال تلك الموضوعات، وسار شعره الزهدي بين هذه الموضوعات مشتملةً، فهي أغراض ومعانٍ عاشها النواسي بجوارحه وأحاسيسه الحية، ولم يكن يطرقها تمثيلاً ولا نفاقاً كما كان الكثير من زهاد العصر العباسي، فعبثه الأولي ومجونه دفعه إلى أن يعيش في أخريات حياته حياةً نقيةً خالصةً ليس فيها ما يشوبها فقد تاب وآب وعاد إلى ربه آملاً

في عطفه ورضاه، وهو يجسد تلك الحالة بأصدق الأشعار وأنقاها، ومن أبرز تلك الموضوعات:

1. **ذكر الموت**

لقد استحوذت موضوعة الموت على النصيب الأكبر مما قاله أبو نواس في أبيات الزهد فكان دائماً ما يلهج بذكر الموت، فقد عالج تلك الدلائل التي تربطه بالموت بفطنته وثقافته ومرجعياته مروراً بفلسفته التي استقاها من الحياة فيصل إلى أن الحياة حلم واقع في أدوات محسوسة لذلك يذكر الموت ويذَكِّرُ به كلَّ من نساه كي يصل في نهاية الأمر إلى حقيقة الخلود في دار الآخرة يقول أبو نواس في قصيدته (عبرةٌ ممن عبر)[120]:

يـــــابنيَّ الـــــنقص والعبـــــرج

وبنـــــيَّ الضَـــــعف والخـــــورْ

أيـــــن مـــــن كـــــان قـــــبلكم

مـــــن ذوي البـــــأسِ والخطـــــرْ؟

ســـــــائِلوا عـــــــنهم المـــــــدا

ئـــــنَ واســـــــتبحثوا الخبـــــرْج

(120) ديوان أبي نواس: 326.

سبقونا الى الرحيـ

ـل وإنا على الاثرْ

فمن مضى عبرةٌ لناج

وغداً نحن مُعتبَرْ

ان للموت اخذةً

تسبق اللمحَ بالبصر

فكأنّي بكم غداً

في ثيابٍ من المدرْ

قد نقلتم من القصو

رِالى ظلمة القبرْ

حيث لا تضرب القبا

بُ عليكمُ ولا الحجرْ

حيث لا تظهرون فيها

للهوٍ ولا سَمَرْ

رحمَ الله مسلماً

ذكرَالله فازدجرْ

إن قـراءة هـذه الأبيـات تترك انطباعـات عديـدةً في ذهـن المتلقي لما فيها من صدق التعبير وحسن التدبير، فقد ناقش أبو نواس موضوعة الموت هنا من زواياً متعدد، أبرزها زاوية التذكير بـالموت، ومحاولـة ثني الإنسـان عـن نسـيانه، ومما يؤكـد على أن النواسـي يريـد شـد انتبـاه النـاس إلى موضـوعه، بـدأ قصـيدته بأسلوب النداء (يا بني النقص والعبر، وبني الضعف والخور) وهي رسالة تذكير وتنبيه، استعمل فيها أسلوب الإهانة والتحذير معاً حتى يشـعر الإنسـان بضـعفه وعجـزه، أمـام حيلـة المـوت، ولعـل القصـيدة تسـير في معـرض الأمـر بـالمعروف والنهي عـن المنكـر والتذكير بعرض الدنيا، واستثمر الحكمة في تعضيد فكرة الموت كذلك، فالبيت الأخير يتكئ على الحكمة في عـرض فكرة المـوت، فنجـد النواسـي يعتمـد على أسـاليب كثيرة في سـبيل خدمـة الموضوع الواحد، قال أبو هفان: "حُدِّثتُ أن صديقاً لأبي نـواس مات وكان يأنس به فوجد عليه وجداً شديداً واشتدَ غمُّه وقلقه وجزعه لفقده وشيّع جنازته فلما صلوا عليه وصيَّروه في حفرته وواروه في لحـده خـرج أبـو نـواس مـن قبره وكـان في مـن ألحـده فاستقبل الناس الذين شيعوا الجنازة بوجهه وقال بصوت شَجٍ واجهاشٍ: " القصيدة "" [121] كما يخاطب أبو نواس في قصيدته هذا

(121) أخبار أبي نواس: 44. 45.

الانسانَ ونفسه كذلك ناعتاً إياه بالنقص والعوز والخور آمرهم أن يبحثوا عمن قبلهم والبشر الذين سبقوهم فهل هم إلا عظماء أقوياء بنوا مدائن الأرض ثم ارتحلوا عنها فبقيت آثارهم شاهداً على فنائهم؟ ونحن الأحياء تابعوهم على الأثر أي على مسلك الموت، إذن أفلا يكون لنا ولكم عبرةٌ من هذا الفناء في أن تلقوا الله بوجه حسن فقد كثير من العظماء أصبحوا في ظلمة القبور بعدما كانوا في مرح العصور في قبورٍ لا تضربُ القباب عليها ولا الحجر والقباب جمع قبة: بناء سقفه مستدير مقعَّر كناية عن عظمة البناء وفقدانهم إياه[122]، ويستمر أبو نواس في لهجه بالموت داعياً الإنسان الى أن ينقي قلبه وضميره ذلك ان الموت حتمي لا شك فيه فيقول في قصيدته: زاد المعاد "[123]:

أخي ما بال قلبك ليس يُنقى

كأنك لا تظنُّ الموت حقا

الا يا بن الذين فنوا وبادوا ج

أما والله ما بادوا لتبقى

(122) يُنظر: المعجم الوسيط: 2 / 709.

(123) ديوان أبي نواس: 610.

ومـــا لـــك فـــاعْلَمنْ فيهـــا مقـــامُج

اذا اســـــتكملتَ آجـــــالا ورزقـــــا

ومـــا لـــك غيـــرُمـــا قـــدَّمت زادج

اذا جعلـــت الـــى اللهـــوات ترقـــى

ومـــا احـــدٌ برزقـــك منـــك احظـــى

ومـــا أحـــد بـــذنبك منـــك أشـــقى

وها هنا يوضح أبو نواس للإنسان وإن كان لا يحتاج الى توضيح أن مصيرك كمصير أبائك وأجدادك وأنت لن تختلف عنهم ولن تستمر في مقامك هذا في هذه الدنيا حينما ينتهي أجلُك وان كلَّ ما فعلته في هذه الدنيا هو زادك الوحيد الى الآخرة حين تنفصل روحُك عن جسدك فان أحسنت إعداد الزاد فهو خير لك لن ينازعك فيه احد كما انك اذا اقترفتَ الذنوب فإنما تجني بها على نفسك وتتعذب بها دون سواك[124]، فالموت أجلٌ مسمى ومحتوم لا يمكن أن يهرب منه أي إنسان، فضلاً عن ذلك فإن النواسي يعمد إلى أساليب بلاغية متعددة في إسناد فكرة الموت،

(124) يُنظر: م، ن: 610.

مثل المقابلة والجناس والطباق وغيرها من الأساليب الأخرى، ويقول في قصيدة أخرى (كلُّ حيّ هالك)[125]:

يا ربَّ وجهٍ في الترابِ عتيق

ويا ربَّ حسنٍ في التراب رقيقِ

ويا ربَّ حزمٍ في التراب ونجدةٍ

ويا ربَّ رأيٍ في التراب زنيقِ

أرى كلَّ حي هالكٍ و ابن هالكٍ

وذا نسب في الهالكين عريقِ

فقل لقريب الدار انك ضاعنج

الى منزلٍ نائي المحل سحيقِ

قاصداً بذلك الإشارة إلى أنه: كم من الوجوه الكريمة الجميلة غطَّها التراب كنايةً عن الموت، وكم من أناس حازمين ذوي نخوة ونجدة وأصحاب عقولٍ وحِجَى غيبهم التراب، والإنسان عريق في الموت الآن كلَّ أسلافه سبقوه إليه وذلك هو مصير البشرية جمعاء ولن يفلت من قبضة الموت بشرٌ لأنه حقٌّ على البشر جميعاً ويقول: (قل لقريب الدار) أي قل

(125) م، ن: 662.

للمقيم في هذه الدنيا أي للإنسان الحي: انك عابر وسائر الى الموت الى منزلٍ بعيد سحيقٍ كنايةً عن القبر.

وكثيراً ما كان أبو نواس يستجمع قواه في وصف الموت حتى يصل الى صورةٍ توحي الى ما يمكن أن توحي إليه من إشارات وبيانات تصور هولَ الموت وصعوبة وقوعه فيجنحُ الى النصيحة والرشد إذ يقول[126]:

كُـــنْ مـــعَ الله يكـــن لكْـــج

و اتـــــــــقِ الله لعلـــــــــكْ

لاتكـــــــــن الا معـــــــــداً

للمنايـــــــــا فكأنـــــــــكْ

أن للمـــــــــوت لســـــــــهماً ج

و اقعـــــاً دونـــــكَ او بكْـــــج

ففي البيت الاول هنالك حذفُ إيجاز أي لعلك تنجو، فارتكز هنا أبو نواس على مبدأ النصيحة والرشد في سبيل المنجاة من النار وعذاب الآخرة، ويمهد البيت الثاني من المقطوعة للموت على أن يبقى الإنسان مستعداً له وهنا يقصد

(126) ديوان أبي نواس: 666.

بالاستعداد بالأعمال والنيات، إذ يبقى التحفيز والاستعداد على أوجه لأن الموت لا ينبئ بمجيئه فهو يأتي بغتةً دون علم أو إشارة، فله سهم لا يخطئ إما أن يقع في الإنسان نفسه أو يقع في الإنسان الذي في جواره، وهنا يجسد النواسي حقيقة الموت من حيث الشرعية المطلقة للموت.

ويقول أبو نواس في تصويره لحقيقة الموت أن المنايا والحتوف والموت تفتك بالبشر وتقتات منهم طعاماً وشرابا[127]:

والمنـــــــــايا آكِـــــــــلاتٌ

شـــــــــارِباتٌ للأنـــــــــامِ

فالموت لا يعرف غنياً ولا فقيراً عندما يقبل ولا يميز بين الأحمق والذكي وإنما له اخذةٌ واحدةٌ يستوي فيها الجميع كما أن الموت يلتهم البشر فرداً فرداً ولا يستثنى من ذلك حتى الأنبياء الذين قربهم الله عزّ وجل، إذ إن الموت وافى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهو حبيب الله ورسوله، فكيف بالإنسان البسيط الذي لا حول له ولا قوة، فإن الموت آتٍ لا محال، وما على الإنسان إلا أن يستعد له بكل جوارحه وأعماله ونياته، كما قال

(127) م.ن: 785.

أبو نواس في حديث آخر عن أهمية الإيمان بأحقية الموت على الإنسان[128]:

للهِ درُّالمـــــوت مـــــن خطـــــةٍ

فيهـــا اســـتوى الاحمـــق والـــداهي

إذ لا يمكن أن نتصور أن المال يشفع للإنسان ويحميه من الموت، كما أن النسب أو الدهاء أو الجمال لا يمكنها أن تكون شفاعات للإنسان لتحيده عن الموت فقد الستوى الغني والفقير والشريف والحقير، فالموت لا يعرف أحداً منهم فالجميع على حدٍ سواء.

ومن القصائد التي أوردها النواسي في معرض حديثه عن الموت، ما قاله في قصيدته (ليس غيرُ الله يبقى)[129]:

كـــــلُّ نـــــاعٍ فســـــيُنعج

كـــــلُّ بـــــاكٍ فســـــيُبكج

(128) م، ن: 940.

(129) م، ن: 953.

كـــــلُّ مـــــــذخورٍ ســـــــيفنى

كـــــلُّ مـــــــذكورٍ سيُنْســـــــج

لـــــــيس غيـــــــرُالله يبقـــــــى

مـــــن عـــــلا فـــــالله أعلـــــى

فيعني أن كلَّ من يعلن اليوم عن وفاة سواه سوف يأتي يوم وينعاه الآخر وأنه حتى الباكي على الميت سوف يأتي يوم فيبكى عليه، والمذخور أي المخبأ لوقت الحاجة فهو يشير في بيته الأخير إلا أن لا خالدَ غير الله ومهما علا الإنسان وبلغَ من الرفعة والسمو والعلو فان الله فوقه، فهكذا كان تعامل أبي نواس مع الموت فهو يحذر منه ويدعو الى الخير دائِماً كيما يفاجأ الإنسان بالموت، والغالب في تناول أبي نواس للموت انه يلجأ الى النصيحة والإرشاد ومحاولة توضيح المعضلة الحتمية عن طريق الفلسفات والثقافات " الدينية " التي استقاها أبو نواس من مجتمعه وبيئته.

يقول الدكتور محمد مصطفى هدَّارة في معرض حديثه عن الموت في شعر أبي نواس: "ومن الطبيعي أن يذكرَ أبو نواس الموت بل يكثرُ من ذكره وتصوير نزوله بالإنسان ليجل منه عظةً وعبرةً

ويستدلُّ بوقوعه على تفاهة الحياة الدنيا وهوان شأنها فمن ذلك قوله[130]:

الـــى المـــوت مِنَّـــا قريـــبْ

ولـــــيس عَنَّـــــا بنـــــازحْ

فـــي كُـــلِّ يـــومٍ نَعِـــي

تصـــيح منـــه الصـــوائحْ

تُشْـــجى القلـــوبُ وتُبكـــى

مُولـــــولاتِ النـــــوائِحْ

حتـــى متـــى أنـــت تلهـــو

فـــي عظـــة وتمـــازحْ

والمـــوت فـــي كُـــلِّ يـــومٍ

فـــي زنـــد عيشِـــك قـــادحْ

والحقيقة أن هذه الأشعار كلَّها إنما تطابق حياة أبي نواس مطابقةً تامةً"[131]، ذلك أن أبا نواس حاول من خلال ذكر الموت

(130) ديوان أبي نواس: 219.

(131) اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري: 341.

أن يجعل من وحي ذكرياته العابثة مجردَ لهوٍ أو حياةً عابثةً سريعة قد لا يحاسبه الله في ظنهِ على كثيرٍ من الأفعال ذلك انه كان مسلماً صادقاً يعرف الحقَّ والصلاح ويميزُ بين الحقِّ والباطل، فأصبح الموت في فكره نِداً يؤرَّقه كلَّ حين ويدفع به الى فعل الخير وترك الذنوب والموبقات وتصوير أديم الحياة الدنيا الزائل وهوانه على نفسه التي طالما رفدت الى شواطئ المجون واللهو قبلَ أن يَحُطَّ المرضُ من أبي نواس شيئاً من قررته على مقارعة الصبيان والكؤوس كنايةً عن أيام صباه التي أودعها في فوهة المباذل والذنوب والمعاصي فعادَ بعد حينٍ يحاول أن يسدلَ الستارَ على حياة انتهت وولت فهو يضرب عن طريق الموت أروع الأمثلة في التزهد في الدنيا والعزوف عن نعيمها وبهرجها الزائِلين.

2. **ترك الذنوب والمعاصي**

مما دعا إليه أبو نواس في شعره الزهدي ترك الذنوب والمعاصي والرغبة عنها والابتعاد عن الجهر بها والعلن عن كلِّ ما لا يرضي الله عزَّ جلَّ ذلك أن كلَّ ما يقترفه الإنسان من ذنوب ليس الا بعداً يَحُولُ بين الإنسان وخالقه وهي بلا شك مدعاة الى الكثير من القلق ومظاهر الغضب وعدم الارتياح والشعور بالنقص الدائم.

ولعلَّ ما يدعو الى الغرابة أن أبا نواس ذلك الشاعر المعروف بفسقه ومجونه ورفضهِ للكثير من الضوابط الأخلاقية نجده يدعو في أخريات حياته الى ترك الذنوب والمعاصي واجتناب المنكرات ما ظهرَ منها وما بطنَ فقد كان يدعو الى شربِ الخمرةِ علناً والجهر باسم الحبيبة، ومن ذلك قوله[132]:

دعْ عنكَ لومي فانَّ اللومَ اغراءُ

وداوِني بالتي كانت هي الداءُ

كما أجاد النواسي أيما إجادة من الناحية الفنية عندما تحدث عن الإباحية في فسوقه ومجونه لا سيما في شرب الخمر، إذ إنه يرى أن الستر يفسد حلاوة ولذة الشرب، لذا نجده يدعو للعلانية والإباحية والكشف ففي ذلك لذة ما بعدها لذة[133]:

الا فسقني خمراً وقلي هيَ الخمرُ

ولا تسقني سِراً اذا امكن الجهرُ

وبُحْ باسم من تهوى ودعني عن

فلا خيرَفي اللذات من دونها سترُ

---

(132) ديوان أبي نواس: 31.

(133) م، ن: 383.

لقد أثبتت هذه الأبيات فاعِليتها في أن تجعل من أبي نواس شاعراً متمرداً عاصياً مذنباً مجاهراً في لهوهِ ومجونه، لكن الامرَ اختلف تماماً في حياة النواسي الزهدية فإذا نحن أمام شيخٍ كريمٍ داعٍ الى الخير والإصلاح والتقوى آمرٍ بالمعروف ناهٍ عن المنكر، إذ قال في احدى قصائده الزهدية التي يدعو فيها إلى ترك المعاصي والذنوب والعزوف عنها بأسلوب فني متقن، فهو يجسد حال التوبة بالحياة الجديدة التي يخلق فيها الإنسان[134]:

أيـــا مـــن بـــينَ باطيـــةٍ وزَقِّـــج

وعـــودٍ فـــي يـــديْ غـــاوٍ يغنـــيج

اذا لـمْ تنـهَ نفسَـك عـن هواهـاج

وتحسِـــنْ صـــونَها فاليـــكَ عنّـــي

فـإنّي قـد شَـبِعتُ مـن المعاصـي

ومـــن لـــذّاتِها وشَـــبِعْنَ منّـــيج

ومـــن اســـوأ و اقـــبحُ مـــن لبيـــبٍ

يـــرى متطرّبـــاً فـــي مثـــلِ سِـــنّي

(134) م، ن: 897.

فهنا يخاطبُ المقيم على الشراب والسَّماعِ ويقول له: ليس شأنك من شأني إذا لم تنهَ نفسك عن اتباع الهوى ولم تحمها من الوقوع في المعاصي والذنوب، كما أنه يقر بالذنب والمعصية القديمة التي تراكمت على قلبها في حياته عندما يصرح بالشبع من المعاصي وأنها شبعت منه، ولكنه يعود إلى مشيبه وضعفه ويقدم تساؤلاً إنكارياً يستثمر فيه اسلوب الاستفهام الإنكاري في البيت الأخير، عندما يقر بأنه لا يوجد أسوأ ولا أحقر من لبيب يرى متطرباً في مثل سنِّ أبي نواس، فهو في سن لا تتناغم ولا تنسجم مع الفحش والفجور والغواية، إنما تحقق انسجاماً مع التوبة والصلاح والرضا.

وفي معرض الحديث عن الذنوب والمعاصي، يكتب النواسي الكثير من القصائد التي تتجلى فيها القيمة العليا للزهد فهو يرتكز على ركن مهم وهو التوبة والعزوف عن المعاصي، ومن ذلك قول أبي نواس في قصيدةِ (مفخرة الذنوب)[135]:

يا ربَّ ذنبٍ تؤودُ المرءَ قيمَتُهُ

حُرَّ الثناءِ صريحٍ حينَ ينتسبُ

(135) ديوان أبي نواس: 81.

لا يقــرعُ المــرءُ منــه ســنَّه نــدماً ج

ولا يــزال بــه فـي القــومِ ينتصــبُج

اذا تـــــذكَّره اختالـــــتْ مخايلُـــــه

حتى يخالطُـه مــن نخــوةٍ غضــبُ

قـــد حزَّرتـــه بايـــدِها ملائِكَـــةٌ

علـيَّ لا تــدرس الأيــام مــا كتــبُج

ففي هـذا الـنص يطرح أبـو نـواس صـورةً للمـذنب الـذي لا يندم على فعله أو ذنبهِ ولا يحسبُ له ايَّ اعتبارٍ وان هذا المذنب يفـاخرُ بذنبـه بـين قومـه فتأخـذه العـزة بـالإثم وهـو في حالـة من الغضب لا يعلم بطبيعـة الحـال أن تلك الـذنوب التي يفـاخر بها من يفاخر هنالك من يسَجِّلها ويحتفظ بها الى يوم الحساب وهم الملائكة الأمناء، قـال تعـالى: "وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَـرّاً يَرَهُ" [136] ونحن غيرُ قادرين على محو تلك الذنوب الا بالعمل الصالح.

3. **عفو الله عَزَّوجَلَّ**

إن قـراءة حيـاة أبـي نـواس قـراءة خاصـة وتفحصـه مـن جوانب دلاليـة متعـددة تنتج للقارئ حقائق مهمة، من أبـرز تلك

(136) الزلزلة: 7.

الحقائق، أن النواسي كان شاعراً ماجناً فاحشاً متمرداً، وأنه شاعر تزهد في أخريات حياته فأحسن زهده وأحسنت توبته، وهناك من يشير صراحة أن ثقة أبي نواس الكبيرة بعفو الله عزّ وجل كانت مفتاحا لبعض لهوه ومجونه، فلم يكن ليلهو لولا ثقته بأن هناك رباً رحيماً يمكن أن يعفو عنه ويرحمه ويغفر له، قال الله تبارك وتعالى في محكمِ كتابه العزيز: "إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ"[137]، وقال جلَّ وعلا: "إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ"[138] وقال جلَّ شأنُهُ "قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ"[139]، فذلك أن الله غفور رحيم واسع المغفرةِ بعباده يغفرُ ما يشاءُ ولمن يشاءُ سبحانه انه هو الواحد القهار.

ومن خلال ما تقدَّمَ تشَكَّلتْ لدى شاعرِنا (أبو نواس) رؤيةٌ عقائديةٌ ثابتةٌ في أن الله واسع المغفرة وان رحمته عزَّ وجلَّ هي اكبر من أن تقارنَ بزلّات العبد وخطاياه وذنوبه ولا شكَّ أن الله واسع المغفرةِ فراح أبو نواس يصنع من ذلك جميعاً مبرراً لما

(137) النساء: 48.

(138) الصف: 14.

(139) الزمر: 53.

يصنعُ من معاصٍ وذنوب وموبقات وهو قد عقد النية على أن الله سيغفر له جميعَ ذنوبهِ التي ارتكبها وان رحمة الله أوسع من تلك الذنوب، لقد شعر أبي نواس عن المغفرة والتوبة على الرغم من قلته شعراً متميزاً بين كلِّ ما قاله شعراء الزهد سواء من ناحية صدقه أو من ناحية قدرته على الإقناع[140]:

أيُّهــا الغافــل المقــيمُ علــى السَّهــ

ــوِولا عُــذرَفــي المقــامِ لســاهِ

لا بأعمالنـــا نطيـــقُ خلاصـــاً

يــومَ تبــدو السَّــماءُ فــوقَ الجبــاهِ

غيــرَانِّــي علــى الإســاءةِ والتَّفــ

ــريطِ راجٍ لحســنِ عفــوِاللهِ

ومــن القصــائد التي يجســد فيهــا النواســي قدرتــه علــى استحثاث عفو الله عزّ وجل، وإيمانه المطلق في أن الله يغفر له خطاياه، ما قاله في مقطوعته الشهيرة[141]:

(140) ديوان أبي نواس: 936.

(141) ديوان أبي نواس: 618.

يـــا رَبِّ إنْ عَظُمَـــتْ ذُنُـــوبِيَ كَثْـــرَةً

فَلَقَـد عَلِمْـتُ بـأنَّ عفـوكَ أعْظَـمُ

إنْ كـــانَ لا يَرجُـــوكَ الا مُحسِـــنٌ

فَـــبِمَنْ يَلُـــوذُ وَيَسْـــتَجِيْرُ المُجْـــرِمُ؟

أدعـــوك ربَّ كمـــا أمـــرتَ تضـــرعاً

فـــإذا رَدَدتَ يَـــدي فَمَـــنْ ذَا يَـــرْحَمُ؟

مـــا لـــي إليـــكَ وَسِـــيلةٌ إلا الرَّجَـــا

وجميـــلُ عفـــوِكَ ثُـــمَّ اَنَّـــيَ مُسْـــلِمُ

فهذه من القصائد الرائعة التي جسد فيها أبو نواس ثقته المطلقة بعفو الله عزّ وجل، فعلى الرغم من عظم ذنوبه وكثرتها فقد آمن بأن عفو الله أكبر منها بكثير وأن الله عز وجل سيغفر له ويعفو عنه رغم الذنوب التي ارتكبها في حياته، كما أن النواسي ناجى ربه خير مناجاة عندما عرض فكرته بأسلوب التساؤل فإن كانت الدعوات لا تستجاب إلا للمحسن فبمن يلوذ ويستجير المجرم؟ ويستعمل كذلك أسلوب التذلل إلى الله عز وجل لأن التذلل إليه واحدٌ من أهم أسباب قبول الدعوة أو التوبة، فهو انقطع رجاؤه إلى من الله تبارك وتعالى، فهو مسلم يؤمن بوحدانية

الله ويؤمن بالرسالات السماوية ويؤمن بكل ما يؤمن به كل إنسان مسلم، لذا فهو يأمل من الله عز وجل أن يعفو عنه ويغفر له ذنوبه التي اثقلت كاهله.

كما يجسد أبو نواس العفو الإلهي في قصائد أخرى ظل يعتقد أن الله خير حافظاً والله أرحم الراحمين، وأن عفو يشمل كل إنسان مسلم، وهنا يعرض القصيدة بأسلوب مخاطبة الذات، والمنولوج الداخلي الذي يؤطره الإنسان بمرجعياته العقائدية، إذ يقول[142]:

يـــــا نواســـــيُّ تـــــوقّرج

اوتعـــــــــــزَّاوتصـــــــــــبّرْ

إن يكـــــن ســـــاءكَ دهـــــرُّج

فبمـــــــا ســـــــرَّكَ اكثـــــرْ

يـــا كبيـــرالـــذنبِ عفـــوالـــج

ـــــله مـــــن ذنبِـــــك اكبـــــرْ

أكبـــرالأشـــياء عـــن اصـــج

ـــــغرِعفـــــوالله أصـــــغرْج

---

(142) م، ن: 310.

لـــــــيس للإنســـــــان الاج

مـــــا قضـــــى الله وقـــــدَّرْ

لـــــيس للمخلـــــوقِ تدبيـــــج

ـــــرٌبـــــل الله المـــــدِّرْج

إن قراءة هذه القصيدة تفضي إلى أن التائب يتوب بكل ما في قلبه من أحاسيس ومشاعر، فكل بيت من أبيات هذه القصيدة يمكنه أن يكون بيتاً مستقلاً يعطي معنىً دلالياً معيناً، ويشيرُ أبو نواس في قصيدته هذه الى أن الدهر اساءَ اليك ولكنه بما سرَّك اكثر، وان عفو الله يشمل ذنبَك مهما عَظُمَ، والذنوب كلها مهما عظمتْ صغيرة أمام عفو الله والإنسان عاجزٌ مسير لا يصيبه الا ما قدَّرَ اللهُ له، ويقول أبو نواس في قصيدةٍ أُخرى يدعو فيها الى العفو والصفح عن الآخرين والتسامح وتقبُّل الناس في خيرهم وشرِّهم والمسامحة في تقصيراتِهم[143]:

خَـــــلِّ جنبيـــــكَ لـــــرامِ

وامـــــضِ عنـــــه بســـــلامِ

(143) ديوان أبي نواس: 784.

مُـــتْ بـــداءِ الصَّـــمتِ خيـــراً

لَـــــكَ مـــــن داءِ الكلامِـــــج

فـــالبس النـــاس علـــى الصِّـــ

ـــــحَةِ مـــــنهم والســـــقامِج

ولا غرابةَ في أن يكون النصيب الأكبر من أسباب مجون أبي نواس وعبثهِ قناعته التامَّة بعفو الله عزَّ وجلَّ "لذلك فأبو نواس لا يشيح بوجهه عن الحياةِ ولا ينكفِئ عنها بل يدعو الى ملاذها وطيّباتها مدفوعاً الى ذلك باقتناعه التام بعفو الله"[144]، فيقول استناداً إلى ذلك[145]:

اتـــرك التقصـــيرفـــي الشُّـــرج

بِ وخـــــــــذها بنشـــــــــاطِ

مـــن كميـــتٍ كســـنى البـــر

ق أضـــــاءتْ فـــي البـــواطي

(144) أبو نواس بين العبث والاغتراب والتمرد: 234.

(145) ديوان أبي نواس: 181.

لـــــــمْ عفـــــــوك مبـــــــذو

ل غـــــداً عنـــــد الصِّـــــراط

خلـــــــــقَ الغفـــــــــران الاج

لامـــــرئٍ فـــي النـــاس خـــاطي

كما أن أبا نواس يجسد شرعية العفو لكل إنسانٍ تائب من الذنوب والمعاصي، ويجب أن تكون لدى كل إنسان رؤية إيمانية مطلقة في أن الله عز وجل يغفر الذنب كله، إلا أن يشرك به، كما أن القنوط من رحمة الله ليس من شيم الإنسان المسلم بل هي من صفات الكافرين الذين لا يعرفون حقيقة عفو الله عز وجل[146]:

لا تُحظِرِالعفوَ ان كنت امرءاً حرجاًج

فـــانَّ حظرَكـــه فـي الـــدين ازراءُج

فإنه يدافع عن الدين بحرارة ويدين الذين يريدون ان ينالوا من جوهر الدين الإسلامي فانه يؤكد انسجامَه مع روح الإسلام وتعاليمه السمحة مستنداً في ذلك الى عفو الله عزَّ وجلَّ ومغفرتهِ الواسعة، فليس هناك أجمل من إنسانٍ يحسن الظن

(146) ديوان ابي نواس: 34.

بربه وخالقه دوماً، إذ إن الله عز وجل عند حسن ظن عبده به، وكذلك استثمر أبو نواس فكرة العفو الإلهي، ليفتح الباب للحديث عن الكثير من المواضيع التي لها صلة مباشرة بالعفو، منها المغفرة التي يرتجيها الإنسان من ربه، والاعتراف بالذنب، فاعتراف الإنسان بذنبه عامل أساس من عوامل العفو عنه، والتوبة والإقلاع عن الذنب، كذلك يكون الإنسان جاهزاً للعفو والصفح إذا ما أقلع عن الذنب والمعصية وتذلل إلى الله تعالى وعزم وقرر أن يترك الذنوب صغيرها وكبيرها.

4. **الحِكْمة**

كان مما اعتمد عليه أبو نواس في شعره الزهدي الحكمة إذ حاولَ من خلالها ان يصف المضامين العامة التي تميّز بين المؤمن والمشرك وبين الصَّلاح والغيّ والظلامِ والنورِ، فراح النواسيُّ يجسد لنا ذلك في تضاربات دلالية موحية تدلُّ على هوانِ الدنيا وخلود الحياة الآخرة وسعة عفو الله عزَّ وجلَّ وصفحه عن الذنوب الصغيرة الكبيرة، وعلى ضرورةِ تقوى الله وخشيتهِ والتزام حدوده، قال أبو نواس[147]:

(147) م، ن: 611.

ومـــا احـــدٌ برزقـــك منـــك احظـــى

ومـــا أحـــد بـــذنبك منـــك اشـــقى

فـلا ينازعـك احـدٌ في زادك إن أحسـنت إعـداده وهـو خير لـك، ومثل ذلـك ذنوبك فلن يُعَذَّبُ بـذنبك أحد غيرك قـال تعـالى: "فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ ﴿25﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ"[148]، فإنما العقـاب لمـن أذنـب والثـواب لمـن أحسـن فهـم الـدنيا، ويقـول أبـو نـواس في بيـت مـن أبيـات الحكمـة التي وردت في زهـده وتقـواه وورعه[149]:

اذا امـتحن الـدنيا لبيـبٌ تكشَّـفتْ

لـه عـن عـدوٍ في ثيـابِ صـديقِ

أي إذا اختبـرَ الإنسـان العاقـلُ الـدنيا وعـرف حقيقتَهـا وكشـف النقـابَ عنهـا وجـدها عـدواً يهلـك الجميـع وإن كـان هـذا العدو يتظاهر بالمودة والصَّداقة، "وسمع المأمون بيت أبي نـواس هذا فقال: لـو سـئلت الدنيا عن نفسها ما وصفت نفسَها كصفةِ

(148) الفجر: 24. 26.

(149) ديوان أبي نواس: 663.

أبي نـواس"[150]، ويـرى الحصـري أن هـذا البيـت الـذي قالـه أبـو نواس في وصف الدنيا مأخوذ من قول مزاحم العقيلي:

قَضَـيْنَ الهــوى ثُــمَّ ارتمــينَ قلوبَنــا

باســـم اعـــداءٍ وهـــنَّ صـــديقُ

حيـث ينتسـب البيـت الى جريـر مـع بعـض الاخـتلاف في الرواية[151]، والحق يقال إن بيت أبي نواس جاء محبوكاً ومعضداً بالدلالـة والأسـلوب، فقـد اختلـف عـن بيـت العقيلي بـل إن أبـا نـواس أجاد أكثر من العقيلي في الوصف، فضلاً عن ذلك فلربما يكـون بـين الشـعارين تـوارد للخـواطر، فكـل شـاعر كتـب على طريقته الخاصة لكن جاء التماثل بين ثنائية واحدة وهي ثنائية الصـديق والعـدو، ولا يمكـن أن نعـد التماثـل أو التشـابه في لفظتين، أو استعمال ثنائية معينة لدى شاعر معين حكراً عليه ولا يمكن استعمالها من شاعر آخر، فاللغة متاحة لكل الشعراء على حدٍ سواء ولا فضل لأحد على الآخر إلا في الإجادة في التعبير عن المعنى.

(150) المحاسن والأضداد، عمرو بن بحر الجاحظ: 154.

(151) زهر الآداب وثمر الألباب: 1 / 94، يُنظر: ديوان جرير: 111.

ومما قاله النواسي في الحكمة[152]:

نحـــن نجـــري فـــي تراكيـــ

ـــــبِ ســـــكونٍ وتحـــــرُّكج

فـــي حلـــيِّ ســـوف تُـــبلج

وقـــــوىً ســـــوف تفكّـــــكْ

يجسد أبو نواس في هذين البيتين قدرته الفاعلة على التلخيص والتعريف بالأشياء، فالدنيا ما هي إلا فناء منتهٍ، لا حد له ولا أمل في الخلود فيه، كما يشير في هذين البيتين الى أن كلَّ زينةٍ فانيةً وكلَّ ما هو قويٌ ومتماسك سوف ينحل ويفكك ولعله يقصد بذلك قوته وجماله وتماسك أعضاء الجسم عند انسانٍ ما، ويقول في وصف الدنيا كذلك مضمناً قولَه بشيء من الحكمة والموعظة[153]:

لا تَفْرُغُ الـنّفسُ مِـنْ شُـغلٍ بـدُنْياها

رأيْتُهـــا لـــم يَنَلْهـــا مَـــنْ تَمنّاهَـــا

(152) ديوان أبي نواس: 666.

(153) ديوان أبي نواس: 931.

إنّـــا لنَـــنْفَسُ فـــي دُنْيـــا موليـــةٍ

ونحـــنُ قَـــدْ نكتفـــي منهـــا بأدْناهَـــا

حـــذّرْتُكَ الكِبْـرَلا يعْلَقْـــكَ مِيسَـــمُه

فإنّـــــهُ مَلْـــــبَسٌ نازَعْتَـــــهُ الله

يـــا بُـــؤسَ جِلْـــدٍ على عَظْـــمٍ مُخَرَّقَـــةٍ

فيـــه الخـــروقُ إذا كلمتَـــهُ تاهَـــاج

يـــرى عليـــكَ بـــهِ فضْـــلاً يبـــينُ بهِـــج

إنْ نال في العاجِلِ السلطانَ وألجاهَا

إن أبا نـواس يسـتثمر أسـلوب الحكمـة في هـذه المقطوعـة ليبين للقارئ الشـأن الحقيقي للدنيا، فيبدأ بالنفي من أن تنتهي الـنفس مـن شـغلها بالـدنيا، فالـدنيا حافلـة بالأشـغال والأعمـال، ولكن الغريب أن المتمني به لا ينال ما يتمناه إلا النزر اليسير، كما يشير إلى عدم جدوى المنافسـة في هذه الدنيا فالمنافس والمنافَس والـدنيا في فنـاء مسـتمرٍ جميعـاً، وحتى في حـال التنـافس فإننـا لا نحصـل إلا على مـال أو جـاه وهـذه أمـور لا تعـد إلا أمـورا دنيويـة خالصة، كما يتناول النواسي موضوع الكبر والكبرياء، فهو يحذر المخاطـب مـن الكبر لأنـه لبـاس خصـه الله بنفسـه ولا يمكـن أن

ينازعه أحد عليه، كما أن نفس المرءِ لا تزال عالقةً بأمور الدنيا في حين أنها (الدنيا) تغرر بالنفوس ولا تنيلها ما تبتغيه كما يخاطب الإنسان المتكبّر ويدعوه الى التخلي عن مظهر الكبرياء والعجب لان الكبرياء والعظمة لله وحده وليس للعبد أن ينازعَ الله في صفاته، فما لذلك الإنسان يتباهى بنفسه وسلطانه وجاهِهِ وهي أشياء ما تلبث أن تزول؟.

5. **الدعوة إلى العمل الصالح**

وكان من ضمن الموضوعات البارزة في شعر أبي نواس الزهدي دعوته الى العمل الصالح وضرورة الإسراع في فعل الخيرات، فها هو يجعل العمل الصالح امراً مهماً الى درجة انه يجعله بمثابة المهور التي تقدَّم للنساء داعياً الإنسان الى عدم اتباع هواه كما يقول في قصيدته (عظة الشيب)[154]:

أيّـــةُ نـــارٍ قـــدَحَ القـــادِحُ

وأيُّ جِـــــدٍّ بلـــــغَ المـــــازِحُ

لله دَرُّ الشَّـــــيْبِ مـــــن واعـــــظٍ

وناصِـــحٍ لـــو سُـــمِعَ الناصـــحُ

(154) ديوان أبي نواس: 218.

يـــأبى الفتـــى إلاّ اتِّبـــاعَ الهـــوى

ومـــنْهَجُ الحـــقّ لـــه واضـــحُ

فاسْـــمُ بعيْنَيْـــكَ إلـــى نِسْـــوَةٍ ج

مُهـــورُهنَّ العمـــلُ الصّـــالِحُج

لا يجْتلـي الحـوراءَ مـن خِـدْرِها ج

إلاّ امـــــرؤ ميزانـــــه راجِـــــحُ

مـــنِ اتّقـــى الله فـــذاك الـــذي

ســـيقَ إليـــهِ المتْجـــرُ الـــرّابِحُج

شـــمّرْ فمـــا فـي الـــدين أُغلوطـــةٌ

ورُحْ لمـــا أنـــت لـــه رائحُـــج

فكان ذلك نداء رفع به الى كلِّ إنسان يحضُّه على العمل الصالح وعلى فعل الخير ومساعدة الآخرين في البرِّ والإحسان والتقوى، وكان الجاحظ يقول: "لا أعرف من كلام الشعراء كلاماً هو أرفع ولا أحسن من قول أبي نواس: أية نارٍ قدحَ القادحُ"[155]، ويريد أبو نواس من النار الشيبَ وقدحَ الزند ليشع ل النار كما

(155) البيان والتبيين، عمرو بن بحر الجاحظ: 485.

يقال اشتعل الرأس شيباً فاستعمل مفردات اشتعال النار وأراد بالجد أي جد الشيخوخة بعد مزح الشباب بينما أشار في البيت الثالث الى أن الإنسان يأبى إلا اتباع أهوائه مع أن طريق الحق واضح جلي لا لبسَ فيه ولا غموض وأشار في البيت الرابع الى أن الإنسان كذلك يجب ان يضع نصب عينه النساء الصالحات واللاتي لا يأتيْنَ الا بالعمل الصالح كنايةً عن حوريات الجنة وفي ما معنى البيت الخامس أن يجتلي من اجتلى العروسَ أخرجها من خدرِها بأحسنِ جلوةٍ ميزانه راجح فهو ميزانه راجح أي ميزان أعماله الصالحة عند الله يدل على صلاحه وتقواه، ويقال شَمَّرَ اذا رفع الإنسان ثوبَه ليجِدَّ في مشيه والمقصود افضِ في أمرك جاداً مجتهداً[156]، وما الدين أغلوطة كناية عن صوابِ الدين وحقه.

وهناك ما يشيرُ الى أن هذه الأبيات (عظة الشيب) قد قيلتْ في أوج عصيان النواسي وعبثه، فامتعض القوم ووبخوه طويلاً وعزموا على ترك صحبته فقال لهم: ويحكم إني لأعلم ما تقولون ولكن المجون يفرط عليَّ وأرجو أن أتوب ويرحمني الله، فأنشدَ أبياته تلك وقد عرف هذا القول " قصيدته " قولاً مؤمناً حكيماً عن أبي نواس وهو في ذروة الخطيئة والمجون ولكنه

(156) يُنظر: ديوان أبي نواس: 218.

ارهاصاً بان ذلك الغارق بالآثام سوف يعود يوماً إلى مرفأ التوبة ورحاب الإيمان والى شواطئ الغفران ويفيق إلى أمره وقد حدث[157]، فضربَ أبو نواس بذلك أروع الأمثلة على قدرته الموضوعية في النظم والتصوير في موضوعات معينة وهو قد يكون محجوباً عنها آنياً ولكن ذلك دليل على وجود الإيمان في قلب هذا الشاعر وانه استوعب الموقف الإسلامي ولكن باسلوبه الخاص الذي سوَّغَ له فعلَ الكثير من الأفعال أثارت جدلاً بين أوساط الحياة الاجتماعية آنذاك.

6. **التَّقوى وخشية الله**

قد يكون أبو نواس في أخريات حياته وما كتبه أو نظمه في أثنائها من شعر الزهد شاعراً مفلقاً صادقاً في تصوير عواطفه الدينية والعقائدية وبذلك يكون واحداً من ابرز الشعراء العباسيين الذين نظموا في الزهد امثال أبي العتاهية وأبي محمد اليزيدي ومحمود الورَّاق وصالح عبد القدوس وغيرهم، وربما لا يختلف معهم كثيراً في المضامين التي عالجوها في شعرهم الزهدي إذ كانت جميعاً تتراوح بين الدعوة الى فعل الخير وترك الذنوب

(157) يُنظر: الشعر والشعراء في العصر العباسي، مصطفى الشكعة: 211.

والمعاصي والعزوف عن الدنيا والحكمة وكان من بين تلك الموضوعات والمعاني تقوى الله وخشيته.

وقد جاء في شعر أبي نواس الزهدي الدعوة الى التقوى والصلاح وضرورة خشية الله عزَّ وجلَّ بين مجموع القصائد التي نظمها أبو نواس في هذا المعنى فراح يرفع معايير التقوى ويضعها فوق كلِّ المعايير الأخرى لان المؤمنين بتقواهم يُزَكَّون لا في أحسابهم ولا بأنسابهم ولا بأموالهم، قال تعالى: "إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ"[158]، فقد ورد في قصيدة (عظة الشيب) بيتٌ يحضُّ فيه أبو نواس الناس على تقوى الله وذلك ان من يتقي الله فان تجارته رابحة غير كاسدة، فمن قوله[159]:

من اتقى الله فذاك الذي

سيقَ اليه المتجر الرابحُ

وهكذا نجد أبا نواس يدعو الى تقوى الله ترغيباً بالتجارة الرابحة كناية عن الفلاح والفوز بالجنة ولكنه يدعو في مكانٍ آخر

(158) الحجرات: 13.

(159) ديوان أبي نواس: 218.

الى ذات التقوى ترهيباً من سرعة إدراك المنية فيقول للمعنى ذاته في أحدى قصائده[160]:

كُــــنْ مـــع الله يكـــن لـــكْ

و اتـــــــــقِ الله لعلـــــــــكْ

لا تكـــــــــن الا معـــــــــداً

للمنايـــــــــا فكأنـــــــــكْ

فعلـــــــــى الله تـــــــــوكلج

وبتقـــــــــواه تمسَّـــــــــكْج

ودعوته كذلك في زهده الى خشية الله عزَّ وجلَّ والرهبة منه لأنه هو الواحد القهَّار وانه هو الجَبار سبحانه، فالدعوة إلى الله عزّ وجل وإلى مخافته وتقواه صورة حية من صور الإنسان الزاهد الذي رغب عن الدنيا ومفاتنها وباعها واشترى رضى الله عزّ وجل، فيقول أبو نواس[161]:

رحـــــــــمَ الله مُســـــــــلماً

ذكـــــــــرَالله فـــــــــازدجرْ

---

(160) م، ن: 666.

(161) م، ن: 325.

غفـــــــرالله ذنـــــــب مـــــــن

خـــــافَ فاستشـــــعرالحـــــذرْ

ولأبـي نـواس قصـيدةٌ عنوانهـا (خشـية الله) يجسـد فيهـا التقوى بأبها صورها الدلالية ذلك المعني الذي يستمده من حياته الخاصة التي بدت تتطور وتتأسس في كل زاوية من زوايا روحه فأخذ يلهج بها حيث ما كان وحيثما حل، إذ يقول فيها[162]:

لـــو صـــحَّ عقلـــي قـــلَّ أشـــباهي

أَجـــلْ ولـــم الـــهُ مـــع اللاهـــي

أعـــــوذ بـــــالله واســـــمائِهج

مـــن عـــاجزِالتركيـــبِ تيـــاهِ

لا تتنـــاهى الـــنفس عـــن غيّهـــا

مـــا لـــمْ يكـــن منهـــا لهـــا نـــاهِ

لله درُّالمـــــوت مـــــن خطـــــةٍ

فيهـــا اســـتوي الأحمـــق والـــداهيج

---

(162) م، ن: 940.

انَّـــا لننســـاها وقـــد مُرِّنـــتْ

مِنَّـــا بأســـماعِ و أفـــواه

أكثـــرتَ فـــي الأمـــروتصـــريفه

مـــا الامـــرُالا خشـــية اللهِ

فلـو كان حكيمـاً وحليمـاً لقـلَّ امثالـه أي (النـاس ضـعفاء العقـول) وعنـدها لاقلـعَ عـن أسـباب اللهـو، وإن الإنسـان متكبر ومتعـاظم مع أنـه واهـن البنيـة ضـعيف التركيـب، وغالبـاً ما ننسى الموت لأننا ألفنا ذكره، ويا أيها الإنسان إنك دائما تبحث عن امورٍ كثيرةٍ ولكـن الخـوف مـن الله عـزَّ وجـلَّ يجـب أن يكـون أول تلـك الأمور، فالمعيار الحقيقي للإنسان المسلم هو التقوى وخشية الله عـزّ وجـل، إذ إن الإنسـان الـذي يتقـي الله عـزّ وجـل ويخشـاه لا يمكنـه بـأي حـال مـن الأحـوال أن يسـرق أو يكـذب أو ينـافق أو أن يرتكب الـذنوب عنـوةً لا سـهواً، فـالتقوى هي المعيـار الـرئيس الـذي يتم تقييم الإنسـان عليـه، قـال الله تبـارك وتعـالى "يـاأيها النـاس إنـا خلقنـاكم مـن ذكـر وأنثى وجعلنـاكم شـعوبا وقبائـل لتعـارفوا إن أكـرمكم عنـد الله أتقـاكم"[163]، فهـذا هـو الميـزان الحقيقـي بـين

(163) ديوان أبي نواس: 940.

المسلمين فهم لا يوزنون بأموالهم ولا بأنسابهم إنما بتقواهم وقربهم من الله عز وجل.

7. **ترك الدنيا والعزوف عنها**

اختلفت الآراء في موقف أبي نواس من الدنيا فهنالك من النقاد كطه حسين يشير الى أن أبا نواس التجأ الى الدنيا ودعا الى التلذذ بنعيمها وطيباتها والاستمتاع بمتاعها زهداً فيها ورغبةً عنها، وهنالك من يشير الى أن أبا نواس دعا الى ترك الدنيا والعزوف عنها وترك بهرجها الزائل ولا ضيرَ في أن نستمع لكلا القولين كي نتوصل الى أن الشاعر قد تناول الدنيا وتحدث عنها في شعره الزهدي أو مقطوعاته الزهدية، ولأبي نواس في قصيدة (كلُّ حي هالكٍ)[164]، بيت في وصف الدنيا والكشف عن حقيقتها فوجدها عدواً يهلك الجميع:

إذا امتَحَنَ الدّنيا لَبيبٌ تكَشّفَتْ

لهُ عَنْ عَدوٍّ في ثِيابِ صَديقِ

ذلك أن اللبيب العاقل اذا اختبرَ الدنيا فلن يجدها سوى عدواً للجميع متربصة في ثياب الأخوة والمودة "قالوا أصدق ما قيل في صفة الدنيا قول أبي نواس: اذا امتحن الدنيا

(164) ن، م: 662.

لبيب"[165].ويقول أبو نواس في قصيدة أخرى بعنوان (دنيا مولية)[166]، جاءت في وصف الدنيا:

لا تَفْرُغُ النّفسُ مِنْ شُغلٍ بدُنْياها

رأيْتُها لم يَنَلْها مَنْ تَمنّاهَا

إنّا لنَنْفَسُ في دُنْيا موليةٍ

ونحنُ قَدْ نكتفي منها بأدْناهَا

مُثْنٍ على نفسِهِ راضٍ بسيرتِها

كَذَبْتَ يا خادِمَ الدّنيا ومولاهَا

إنّي لأمقُتُ نَفسي عندَ نخوتِها

فكيفَ آمنُ مَقتَ اللهِ إيّاهَا

أنْتَ اللّئيمُ الذي لم تَعْدُ هِمّتُهُ

إيثَارَدنْيا إذا نادَتْهُ لَبّاهَا

يا راكبَ الذّنْبِ قد شابتْ مَفارِقُه

أما تخافُ مَنَ الأيامِ عُقباهَا

---

(165) ديوان المعاني، أبو هلال العسكري: 2 / 181.

(166) ديوان أبي نواس: 931.

فهـو يقصـد بـذلك أن نفـس المـرء لا تـزال عالقـةً بالـدنيا وأمورها الزائلة في حين أن الدنيا لا تلبي لها ما تبتغيه، وغالباً ما يمدحُ المتكبرُ نفسه بما ليس فيها ويرضى عن سيرته في حين انه عبد للدنيا ومغترٌ لاهوائها وأهوالها وأوهامها، انّي لأمقتُ نفسي عند نخوتها أي: أنني اكره نفسي عندما تغترُّ وتتكبر فكيف لا يكره الله النفس المغترَّة؟ ! واللئيم وهو الذي يكون هدفه الاستمتاع بلذائذ الدنيا فكلما استهوته انقاد لها طائِعاً فرحاً وندائي الى الممعن في الذنوب والمعاصي وقد شاب رأسه الا تخاف من عاقبة الأيام؟ ويبدو أن موقفَ أبي نواس (المعارض) لزخرف الدنيا وبهرجها قد بدا واضحاً في أخريات حياته بعدما ضاقت به السبل ولم يجد من يمتدحه فيعطيه الهبات والمَّت به الأمراض،وهذا عزز زهده في الدنيا، على الرغم من أن طه حسين قد فسَّرَ لجوء أبي نواس الى الدنيا وملاذها وطيباتها والتمتع في نعيمها إنما ذلك وجهٌ من وجوه رفض أبي نواس للحياة وهروبه منها واستنكاره إياها[167]، لكن صدق تلك المشاعر كان معلماً مهماً من معالم الشعر الزهدي عند أبي نواس، فهو يمعن في التأكيد على نقاء تلك المشاعر وإخلاصه في عرضها وتجسيدها.

(167) يُنظر: حديث الأربعاء: 457.

8. الدعاء وضرورة الطلب من الله وحده

لابدَّ للمسلم أن يدعو الله عزَّ وجلَّ ويتذلل له، لما في هذا الفعل من تصوير فعَّل لما في داخل المؤمن من إيمان في أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ولم تكن هذه الرؤية الإيمانية ببعيدة عن أبي نواس وشعره الزهدي، فقد كان يدعو الله عزَّ وجلَّ في السَّراء والضَّراء ويرى بضرورة الطلب من الله وحده لا من البشر الذين هم مخلوقون وعُبَّاد، ويقول أبو نواس[168]:

يـــا ســـائلَ اللهِ فـــزتَ بـــالظَّفَرِ

وبـــــالنَوالِ الهنـــيّ لا الكـــــدِرِ

فارْغـــبْ إلـــى اللهِ لا إلـــى بشـــرٍ

منْتَقِـــلٍ فـــي البِلـــى وفـــي الغِيَـــرِ

وارْغَـــبْ إلـــى الله لا إلـــى جسَـــدٍ

منْتَقِـــلٍ مـــن صِـــباً إلـــى كِبَـــرِ

إنّ الّـــــذي لا يخيـــــبُ ســـــائلُه

مُبـــــاينٌ للشَّـــــخُوص والصُّـــــوَرِ

---

(168) ديوان أبي نواس: 425.

إنّ الّـــذي لا يخيـــبُ ســـائلُهُج

جـــوْهَرُهُ غيـــرُجـــوْهَرِ البشـــرِ

يـا قلـبِ، مهـلاً وكُـنْ علـى حَـذَرٍ

فقـــد لعَمْـــري أُمِـــرْتُ بالحـــذرِ

مـــا لـــكَ بالتّرهـــاتِ متشـــغِلا<ا

أفـي يـــديْكَ الأمـــان مـــن ســـقرِ

فيعني بـذلك أن مـن يسـأل الله سـيفوز بـالظفر ويحقـق غايتـه ومبتغـاه، فـادعُ أيهـا الإنسـان الله تبـارك وتعـالى ولا تـدعو البشـرَ المتقلبَ من حالٍ الى حال والـذي يتـأثر بتقلبات دهره أي الطلب يجب أن يكون من الله الخالد لا من البشر الذي تسير به الحيـاة الى المـوت، وفي مقطوعـات كثيرة لأبـي نـواس ولاسـيما الزهدية منها نجد انه قد وظَّف فيها الداء في موضوعٍ أو آخر فقد كان يدعو الله دائماً في أخريات حياته في أن يغفر له ويتجاوز عن سيئاته كما يدعو بالسلامة والطمأنينة لمن يحب لاسيما الخلفاء والوزراء الذين مدحهم في شعره.

الا أن هـذا الأسـلوب (الـدعاء)، لـم يكـن كبـاقي المضـامين والمعاني التي نظم في ضوئها أبو نواس شعره الزهدي، إذ كان لكل من الدعوة الى العمل الصالح والموت والتقوى والحكمة موضوعاً

خاصاً لكل منها بينما لم اجدْ شعراً خاصاَ صريحاً للدعاء وإنما جاء مسترسلاً منثوراً مع الموضوعات الأخرى سوى في قصيدة واحدة وهي (يا سائل الله فزت بالظفر).

9. **التفكُّر في خلق الله**

وورد في زهديات أبي نواس ما يوحي بالتفكر في خلق الله عزَّ وجلَّ واستفهام قدرته سبحانه وتعالى كخلق الإنسان وخلقِ السموات والأرض والوجود والحياة، وكان للتفكُّرِ في خلقِ الإنسان شأن خاص وفي ذاته قال تعالى: "وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿ 12 ﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿ 13 ﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ"[169]، فما كان على أبو نواس إلا أن يقول[170]:

ســـــبحانَ مـــــن خَلَـــق الخَلـــــ

ـــــقَ مـــــنْ ضـــــعيفٍ مُهـــــيْنِ

(169) المؤمنون: 12. 13. 14.

(170) ديوان أبي نواس: 914.

يَسُـــــــوقُه مِـــــــنْ قـــــــرارٍ

الـــــــى قَـــــــرارٍمَكِـــــــيْنِ

فـــي الحُجْـــبِ شـــيْئاً فشـــيئاً

يحـــــــــورُدونَ العُيـــــــــونِ

حتـــــى بَـــــدَتْ حركـــــاتٌ

مخلوقَـــــةٌ مِـــــنْ سُـــــكونِ

وقال ابن المعتز: "أخبرني ابن أبي شقيقة الوراق قال: كان يجتمع الشعراء في دكان أبيه ببغدادَ، وأن أبا العتاهية حضرهم يوماً فتناولَ دفتراً ووقَعَ على ظهره ينشد:

أَيـــا عجبـــاً كَيـــفَ يُعْصَـــى الالـــ

ـــه أَمْ كيـــفَ يجحـــده الجاحِـــدُ؟

ولله فـــــي كـــــلِّ تحريكـــــةٍ

وتســـــكينةٍ أبـــــداً شـــــاهدُ

وفـــي كـــلِّ شـــيءٍ لـــه آيـــةٌ

تَـــــدُلُّ علـــــى انـــــه واحِـــــدُ

فلما كان من الغد جاء أبو نواس فجلسَ فتحدَّثَ ساعةً ووقعتْ عينه على ذلك الدفتر وقرأ الأبيات فقال: من صاحبُها؟ لوددتُ انها بكلِّ شعري فقلنا لأبي العتاهية فكتب تحتها الأبيات (سبحان من خلق الخلق) فلما كان من الغد جاء أبو العتاهية وقال: لمن هذه الأبيات؟ لوددتُ انها بجميع شعري فقلنا أبو نواس، وتعجَّبا من اتفاقِ قولِهما"[171]، فقد كان ما يشير إليه أبو نواس في قصيدته هذه أنه يسبح لله في خلقه وان الله خلق الإنسان من نطفة ونقله من قرار الأصلاب الى قرار الأرحام، والحُجب المكان الخفي المستور الذي لا تراه العيون.

10. **الوقاروالرضا**

ولعل من ابرز ما يتميز به الزاهد عن غيره من بني البشر الوقار والرضا والقناعة بعيداً عن التضَجُّرِ والتطاول وعدم الرضا، وأبو نواس في حال كونه زاهداً كان يلهج في أثناء شعره الزهدي بالوقار والرضا والحمد والشكر والثَّناء لله عزَّ وجلَّ والإقرار بفضله ونعمته عليه، فقد جاء في إحدى قصائده ما يوحي لهذا المعنى إذ يخاطبُ نفسَه داعياً إياها الى الصبر والوقار والرضا والقناعة فيقول[172]:

(171) طبقات الشعراء المحدثين: 207 . 208.

(172) ديوان أبي نواس: 310.

يانواســــــــيُّ تـــــــــوقّرج

اوتعـــــــــزَّاوتصـــــــــبّرْ

إن يكـــــن ســـــاءكَ دهـــــرُج

فبمـــــا ســـــرَّكَ اكثـــــرْجج

يـــا كبيـــرالـــذنبِ عفـــوالـــج

ـــــله مـــــن ذنبِـــــك اكبـــــرْ

أكبـــرالأشـــياء عـــن اصـــج

ـــــغرِعفـــــوالله أصـــــغر

لـــــــيس للإنســـــــان الاج

مـــــا قضـــــى الله وقـــــدَّرْ

لـــــيس للمخلـــــوقِ تدبيـــــج

ـــــرُبـــــل الله المـــــدِّرْج

وجاء في البيان والتبيين "يا نواسي تفكر..وتعزَّ وتصبر"[173] الوقار هو الحلم والكبر والرصانة والدهر ربما قد أساء اليك في مسألة معينة ولكنه سرَّك في مسائِلَ عديدةٍ أخرى، وما قد قُضيَ

(173) يُنظر: البيان والتبيين: 485.

على الإنسان فلن يرى غيرَه في قدره والله وحده هو القادر المقدِّر وهو المدبِّر بيده الملك سبحانه.

كما أن الوقار والرضا والقناعة والركيزة صفات تعود الى حالة تعكس مدى إيمان المؤمن بالمأمون به ذلك أن القانع والراضي والوقور سيستَغني عما في حقه وحقِّ غيره في سبيل نوال مرضاة الله عزَّ وجلَّ وعدم اغضابه والفوز بالجنة والنجاة من عذاب النار، فيقول الحسن بن هانئ " أبو نواس "[174]:

قـــد كفانـــا الـــرِّزقَ ربِّـــيج

ولـــــه نشـــــقى ونســـــعى

فقد يسعى الناس ويشقون في سبيل الحصول على ما كفاهم الله إياه وأغناهم عن السعي إليه ذلك أن الله هو الرزاق بيده الملك كله، يقول أبو نواس[175]:

ومـا أحـدٌ بـزادِك منـك أحضـى

ومـا أحـدٌ بـذنبِك منـك أشـقى

(174) ديوان أبي نواس: 953.

(175) م، ن: 611.

فـان اسـتطعت أن تُقَـدِّمَ لنفسـك الـزاد الخير فهـو لـك لـن ينازعـك فيـه أحـدٌ ولـن يشـاطرك فيـه سـواك، وكـذا تكون الـذنوب والمعاصي التي ارتكبتها فلن يصلى عذابها أحد سواك.

الفصل الثاني
الخصائص الفنية لشعر الزهد عند أبي نواس

ما أن يذكر أبو نواس الا وتذكر معه الثورة على وصف الأطلال ورسم الديار واستذكار الأيام الخوالي والخروج عن السياق المألوف في نظم القصيدة العربية[176]، فهو يدعو بذلك الى ترك المقدمات الطللية التي ألزم الشعراءُ أنفسَهم بها منذ زمن بعيد، فراجَ صيته في ذلك وأصبحَ فيما بعد من رواد هذه الدعوة مستعيناً بمكانته وشهرته الأدبية والاجتماعية في المجتمع العباسي، وكان لموقفِ أبي نواس هذا مجموعة من الدوافع والأسباب التي جعلته يثور على رسم الديار والوقوف عليها وذكر أسماء النساء لا مجالَ لذكرها ولكن المهم في ذلك أن أبا نواس قد قام وأشرف على بنود تلك الثورة هو ومجموعة من الشعراء الذين كانوا أغلبُهم من الموالي، والحصول على حركة أدبية اتخذت من الرفض منهاجاً لها أثَّرتْ بشكلٍ أو بآخر على الخصائص الفنية للقصيدة العربية.

وصار التجديد رسالةَ أبي نواس فقلما نجد قصيدةً من قصائده تخلو من التلميح أو التصريح بالدعوة الجديدة التي

(176) يُنظر: الزندقة والشعوبية في العصر العباسي الاول: 180.

تبنَّاها وعدد غير قليل من الشعراء وما تنبغي الإشارة إليه هنا هو ما البديل الذي حمله أبو نواس ورفاقُه الذين كانوا اغلبهم من الموالي[177] والذي جعلوه بديلاً للوقوف على الأطلال واستذكار الماضي وبكاء الطلول؟ فقد كان يدعو في كلِّ مرةٍ الى استئناف القول في الخمرة والدعوة الى حب الحياة والحرية والاستعاضة عن تلك الأطلال بالحديث عن موضوعٍ آخر يكون أكثر اتصالا بحياة الشاعر وتجاربه الحية التي يعيشها في مجتمعه والتي هي أقرب الى حياة الناس من تلك التقاليد، فيقول أبو نواس[178]:

دَعِ الأطـــلال تسْـــفيها الجنُـــوبُ

وتُبلـي عَهـــدَ جِـــدّتِها الخطـــوبُ

وخَـــلّ لِراكِـــبِ الوَجْنـــاءِ أرْضـــاً

تَخُـــبُّ بهـــا النَّجيبـــةُ والنّجيـــبُ

(177) يُنظر: في الأدب العباسي الرؤية والفن، عزالدين إسماعيل: 339 . 340.

(178) ديوان أبي نواس: 88.

بـــــلادٌ نَبْتُهـــــا عُشَـــــرٌوطَلْـــــحٌ

وأكثـــرُصـــيْدِها ضَـــبُعٌ وذيـــبُ

ولا تأخُـــذْ عـــن الأعـــرابِ لهْـــواً

ولا عيْشـــاً فعيشُـــهُمُ جَـــديبُ

دَعِ الألبـــانَ يشْـــرَبُها رِجـــالٌ

رقيـــقُ العـــيشِ بيـــنهُم غريـــبُ

إذا رابَ الْحَلِيـــبُ فبُـــلْ عليـــهِ

ولا تُحـــرَجْ فمـــا فـــي ذاك حُـــوبُ

فأطْيَـــبُ منْـــه صَـــافِيةٌ شَـــمُولٌ

يطـــوفُ بكأســـها ســـاقٍ أديـــبُ

أقامَـــتْ حِقْبَـــةً فـــي قَعْـــرِدَنٍّ

تفـــورُومـــا يُحَـــسُّ لهـــا لهيـــبُ

كـــأنّ هـــديرَها فـــي الـــدّنّ يَحْكـــي

قِـــرَاةَ القَـــسّ قابلَـــهُ الصّـــليبُ

فهـــذا العـــيشُ لا خِـــيمُ البـــوادي

وهـــذا العـــيشُ لا اللـــبن الحليـــبُ

ولعل تلك الثورة وما لها من أبعاد وجوانبَ قد أثَّرتْ وأسهمت بشكلٍ كبير في دخول الشعراء الذين نادوا بها في إطار التجديد ولا سيما أبو نواس منهم إذ عمدَ النواسي في قصائده على ادخال الجانب الفلسفي والتأملي والدعوة الى الحرية وممارسة الحياة الإنسانية بكل أبعادها ما دعا الى ادخال التجديد والتغيير في مضمون القصيدة النواسية لا الشكل فكان ذلك بمثابة التطور الفني الذي جعل القصيدة النواسية أكثرَ اندماجاً واتصالاً بواقع الحياة الحضارية التي يعيشها المجتمع العباسي آنذاك، وبعيداً عن الوقوف على الأطلال والبكاء على تركة الديار واستذكار الأيام الخوالي وحكر التغزُّل بأسماء نساءٍ معينات نجد أبا نواس يتغزل بأسلوب جديد مغاير وطريقة خاصة في النظم أشبه بالمنظومات الرياضية والحساب، إذ يقول[179]:

جِنانٌ حصّلتْ قلبي

فما إنْ فيهِ مِنْ بَاقِ

لها الثّلْثانِ من قلبي

وثُلْثَا ثُلْثِهِ البَاقي

(179) ديوان أبي نواس: 386.

وثلثـــــا ثلْـــــثِ مـــــا يبْقَـــــى

وثُلْـــــثُ الثّلْـــــثِ للســـــاقي

فتبقـــــى أسْـــــهُمٌ ســـــتّ

تَجـــــزّا بـــــين عُشّـــــاقِ

فكان ذلك تطوراً ملحوظاً في قصيدة أبي نواس ولمْ يقتصرْ هذا التطور على معنى أو معنيين من معاني القصائد عند أبي نواس وإنما كان التحديث والتجديد حاضراً في الغزل والرثاء والفخر والطرد والمديح والخمرة وشعر الذكريات مما الى الحصول على خصائص فنية جيدة في شعر هذا الشاعر.

أمَّا فيما يخصُّ السمات والخصائِص الفنية لشعر الزهد فالحقُّ أن شعر أبي نواس الزهدي لم يكن كباقي المعاني والموضوعات الأخرى ! فقد كان حسبما اطلعنا عليه أقلُّ حظاً وتوفيقاً من الناحية الفنية الإبداعية مقارنةً بباقي الموضوعات، فقد اتسمت اغلب القصائد الزهدية بالوضوح والمباشرة واستعمال الألفاظ البسيطة والسلسة التي لا تعقيدَ فيها ولا إطناب وافتقارأغلبها والى الصور البلاغية الموحية ولعل ذلك يعود الى أن هذه القصائد كانت قد نظمت في أخريات حياة أبي نواس بعدما ضاقت به الدنيا واقعده المرض وهجره اكثر

أصحابه فما كان عليه الا أن يباشرَ المعاني ويرسل العبارات السهلة فضلاً عن طبيعة شعر الزهد نفسه الذي يقتضي المباشرة غالباً، وكان ذلك على الرغم من أن أبا نواس قد نظم عدداً من قصائده الزهدية خلال مجونه وعبثه اي في أوج عطاءه الشعري، ولا يعني هذا أن شعر أبي نواس في الزهد لم يكن يحمل السمات والآفاق الفنية العالية فقد كان لصدق أبي نواس في شعره هذا أثراً بالغاً في أن يجعل من شعره في هذا المجال يتميز بصياغات وتراكيب فنية جيدة وان كانت في أغلبها تشبه في صياغتها أسلوب " السهل الممتنع " على التحام إبداعي فني معنوي واحد.

ولم يجنح النواسي في شعره الزهدي الى الصنعة والتعقيد وإلزام المعاني الدلالية بمجموعة من الحدود التي اعتاد الشعراء أن يكبّلوا بها أشعارهم ولاسيما الشعراء الذين اتخذوا من القصيدة العربية القديمة أنموذجاً أدبياً لا يمكن الحيدُ عنه من حيث البناء والتركيب والنظم كالوقوف على الأطلال والبكاء على الديار واستذكار أيام الصبا، كما أنَّ شعراء العصر الحديث كانوا وان لم يقفوا على الأطلال اكثر اغراقاً بالبديعيات بدعوة دخول المدارس والمذاهب الأدبية على الأدب العربي في نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين فكان التغيير على المستوى الموسيقي والفني والتركيبي وحتى على المستوى الدلالي

المعنوي، أما أبو نواس فقد سلك أو نهج في شعره الزهدي منهجاً مختلفاً ليس باختلافه عن الشعراء الذين عاصروه ونظموا أشعارهم على سياق واحد وإنما كان شعره الزهدي يتميز بمجموعة من العلامات البيانية التي غلبت على شعره الزهدي من دون باقي المعاني والموضوعات التي نظم فيها كالمديح والرثاء والخمرة والطرد والمذكرات.

وقد قسمنا الخصائص الفنية لشعر الزهد عند أبي نواس على ثلاثة مباحث:

الأول اللغة

والثاني الصورة

والثالث الموسيقا أو الإيقاع.

المبحث الأول
اللــغــة

فَـلأَنَّ اللغـة هي المـادة الأساسـية التي يقـوم عليهـا العمـل الأدبي شـعراً كان أم نثراً فلابُدَّ من البدء بها "ولا شـكَّ أَنَّ مهارة أي فنـان تتجلى في دقـة ضبطه في اسـتعمال ألفاظه الدقيقـة في بنـاء وحدته الفنية"[180]، كما يُعَوَّلُ على اللغة بوصفها أساساً في نجـاح النصـوص الأدبيـة فنيـاً مـع الأخـذ بنظـر الاعتبـار قـدرة الأديـب وإمكاناتـه في التعامـل مـع اللغـة وتشـكيل مفرداتهـا واختيـار التراكيـب المناسـبة والتعـابير المنتظمـة التي تـدعم وحـدة المعنى العـام ومن ثم الحصـول على بنـاء فنيٍّ متكامل يحقق أعلى نسـبة ممكنة من الإبداع والتفاعل مع الواقع الخارجي العـام الذي سـوغ نشأة النص الأدبي تبعاً للظروف المحيطة به.

وتـرتبط اللغـة مع الشـاعر ارتباطاً وثيقـاً إذ انـه يسـتخدمها اسـتخداماً كيفيـاً خاصـاً يختلـف عـن اسـتخدام الآخـرين غير الشـعراء لهـا وقـد يحمل الـنص الشـعري او الأدبي مـواد سياسـية واجتماعيـة وخلقيـة وأسـطورية وهـذه العناصـر مهمـا تباينـت

(180) (ما) في شعر المتنبي، هادي الحمداني، مجلة الجامعة المستنصرية، العدد الرابع، السنة الرابعة 1974 : 103.

وتنوعتْ وبدت غزيرةً في النص لا تمنح النص شاعريته، كما أن النص الشعري ليس ملحقاً بعلم التاريخ او الاجتماع او علم النفس او غيرها من العلوم ولكنه منتمٍ الى نظامٍ آخر هو نظام الفن حيث تلعب اللغة دوراً بارزاً في رفع المستوى الذوقي لذلك النظام[181]، فاللغة إذن تتكون من المفردات (الألفاظ) والتراكيب لذا ارتأينا ان نقسم هذا المبحث على قسمين الاول المفردات والثاني التراكيب:

1. **المفردات (الألفاظ)**

يقول الجاحظ :"المعاني مطروحةٌ في الطريق يعرفها العجميُّ والعربيُّ والبدويُّ والقرَوي والمدنيّ وإنَّما الشأنُ في إقامةِ الوزن وتخيُّر اللفظ وسهولة المخرج وكثرة الماء وفي صحَّة الطبع وجَودَة السَّبك فإنما الشعر صناعةٌ وضَرْب من النَّسج وجنسٌ من التَّصوير"[182]، فقد كان وما زال للفظ أهمية بالغة في إقرار المفاضلة في النص الأدبي شعراً أم نثراً[183]، كما أن المفردة أو اللفظ "هو المادة الأولى في بناء القصيدة الشعرية فهو بما يثيره من أشكالٍ يمنحها الصورة وبما فيه من جرسٍ يهبها الإيقاع وليس

(181) يُنظر: تطور الصورة في الشعر الجاهلي، خالد الزواوي: 36.

(182) الحيوان: 3 / 131.

(183) يُنظر: أبي نواس بين التخطي والالتزام: 490.

جلبه بالأمر الميسور وإنما يأتي لان دوافع التجربة في داخل الشاعر هي التي تختاره وتعتمده وتطمئن إليه بعد أن تكون قد غاصت في أكوام هائلة من الألفاظ"[184]، فينابيعُ التعبير تختلف من شاعر الى آخر كلٌّ حسبما لديه من ثقافة لغوية وخزينٍ معرفيٍّ كافٍ، وتبعاً لنمط مرجعياته الفكرية والأيديولوجية الخاصة التي نمت وتطورت لديه عبر تراكم دلالي متتابع ومستمر.

والحقُّ أن ما جاء في شعر أبي نواس الزهدي من ألفاظ وأبنية ومفردات لم تكن غريبةً ولا مستعصيةَ الفهم والإدراك إلا في القليل ذلك أن أبا نواس أراد من تلك الأشعار التي أوردها في باب الزهد الابانةَ عن موقفه وقدرته على الإتيان بها والقيام بدور الراجي الحقيقي الذي يرجو ربَّه ويطلب مغفرته، فلمْ نُحْصِ بعد الاطلاع على شعره الزهدي إلا مجموعة من المفردات الغريبة والنادرة التي لمْ يعتدِ الزهاد استعمالَها في اشعارهم، فيقول أبو نواس[185]، في معرض الحديث عن الخمرة وهجرها مستكرهاً من أدمن على شربها:

(184) الصورة الشعرية في شعر أبي تمام، عبد القادر الرباعي: 241.

(185) ديوان أبي نواس: 897.

أيا مـنْ بَـيـنَ بـاطـيـةٍ وزِقٍّ

وعـودٍ فـي يـدَيْ غـاوٍ يُغَنّـي

إذا لـم تَنـهَ نفسـكَ عـن هواهـا

وتُحسِـنْ صَـوْنَها فإلَيـكَ عنّـي

والباطيـةُ "النَّـاجود الـذي يجعـل فيـه الشـراب وجمعـه بـواطي"[186]، في حـين أن الـزَّقَّ "وعـاء للشـراب وهـو الجلـد يُجـزُّ شـعرُه ولا ينتـف نتـف الأديم وزق الطائر الفرخَ يزقـه زقاً أي يغره غراً"[187] إذ حـاول أبـو نـواس من خلال ذلك أن يجسـد لنا كراهةَ نفسـه ونبـذه لمـن يتعـاطى الخمـورَ والشـراب فـأردف باطيـةٍ بـزقٍ والدلالـة واحـدة كنايـة عـن رفضـه لكافـة أنـواع الشـراب مـا يعـزز صدق العاطفة التعبيرية عنده في شعره الزهدي.

ويقـول في قصـيدة أخـرى واصـفاً المـوت وفزعـه وصـعوبة نزوله[188]:

(186) تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري: 14 / 28.

(187) العين: 5 / 13.

(188) ديوان أبي نواس: 662.

أيا رُبّ وَجــهٍ في الــتّرابِ عَــتيقِ

ويــا رُبّ حُســنٍ فـي التّـرابِ رَقيــقِ

ويــا رُبّ حــزْمٍ فـي التّـرابِ ونجــدةٍ

ويــــا رُبّ رأيٍ فــي التّــرابِ زَنيــقِ

امّاَ الزنيق "يقال أمر زنيق أي محكم مستوثق منه ورأي زنيق رصين محكم"[189]، فقد وظَّف المعاني والدلالات الموجودة في هذه الألفاظ في سياق المآل (الموت) فيرى أن كُلَّ حسنٍ رقيقٍ سيلفحه التراب وحتى الرأي الرصين المحكم القويم سينتهي به الأمر الى الفناء عند الموت فلا خلودَ الا لله، فكم من أُناسٍ حازمين جبَّارين ذوي نخوةٍ ونجدة وكم من عقلاء وحكماء وعلماء سديدي الرأي غيَّبَتْهم وطأةُ التراب.

وسارت معظم القصائد الزهدية عند أبي نواس على منهجٍ واحد من بساطة في التعبير وسهولة النظم واستعمال الألفاظ الموحية الدالة على المعاني المباشرة بعيداً عن التعقيد والتزويق اللفظي واختيار الألفاظ الصعبة والإكثار من المحسنات البديعية، ومع ذلك لم يخلُ شعر أبي نواس الزهدي من استخدام عدد من الألفاظ والمفردات والتعابير الإيحائية التي

(189) تهذيب اللغة: 8 / 329.

تقوم على الانزياح، فقد قال النواسي في قصيدة " عبرة ممن عبر "[190] في وصفه للموت ورؤيته له:

فكـــــــأنّي بكـــــــم غـــــــداً

فـــــي ثيـــــاب مـــــن المَـــــدَرْ

والمدرُ "مُحرَّكة قطع الطين اليابس المتماسك أو الطين العِلْكُ لا رملَ فيه" [191] كنايةً عن القبر ووحشة ذلك القرار الرهيب، ويقول[192] في أحدى قصائده، يخاطب الإنسان المتكبّر داعياً إياه الى التخلي عن مظهر الكبرياء والعجب لان الكِبرَ لله وليس للإنسان المخلوق الضعيف أن ينازعَ اللهَ الخالقَ القوي الجبَّار في صفاته:

حـذَّرتُك الكِبْـرَلا يعْلقُـك ميْسَـمُه

فانـــــه مَلْـــــبَسٌ نازعتـــــه اللهَ

(190) ديوان أبي نواس: 325.

(191) تاج العروس، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي: 14 / 95.

(192) ديوان أبي نواس: 325.

ويقال "فلانة ذات ميسم وجمال ميسمها اثر الجمال فيها وهي وسيمة قسيمة قد وسمتْ وسامةً بيّنَةَ الوسام والقسام"[193]، وقد غَلَبَ على اكثر المفردات والألفاظ التي تناولها أبو نواس في شعره الزهدي بوصفه شاعراً الوضوحُ والبساطةُ فكأنما سار في ذلك على أسلوب السهل الممتنع فلمْ يعرقلْ الشاعر أذهان القرَّاء أثناء شعره هذا بألفاظٍ غريبة أو منقرضة أو غيرِ مستخدمة ولا بألفاظٍ عاميةٍ سوقيةٍ مُبتذَلة، وإنما نهج الشاعر أبو نواس في شعره الزهدي هذا منهجاً آخرَ إذ اعتمد على لغة ميسرةٍ فيها من الألفاظ الموحية والدالة على المعاني المباشرة التي تنسجم ورسالته التي حَثَّ إليها " موضوعات الزهد " فلمْ يبتغِ من تلك المفردات في مجملها العام سوى أن توضحَ تلك المعاني الإسلامية التي طرق أبو نواس أبوابَها في شعره الزهد بعيداً عن التعقيد والتزويق والسذاجة في فصل اللفظ عن معناه وإحاطة القارئ بالكثير من العلامات الغامضة والتي لا تؤدي الا الى الضياع وفقدان الغاية الدلالية وإضعاف فنية النص الأدبي، لا سيما أن موضوعاً كموضوع الزهد أو الورع أو الشعر الإسلامي الدَعَوي لا يحتمل تأرجحَ الألفاظ بين هذا المعنى وذاك.

---

(193) العين: 7 / 322.

2. التراكيب

من خلال البحث في الجملة الاسمية والفعلية من جهة والجملة الخبرية والإنشائية من جهةٍ أخرى تتضحُ لنا مضامين التراكيب التي اعتمدها أبو نواس في شعره الزهدي، لذا سنعرض هذه التراكيب عبر محورين الأول مختص بالجملة الفعلية والاسمية والثاني بالجملة الخبرية والإنشائية.

أ. الجملة الفعلية والاسمية

إن الجملة "ما تركبَ من كلِمَتين أو اكثر، وله معنى مفيد مستقل"[194]، كما أن الجملة ثلاثة أنواع: الجملة الأصلية: وهي التي تقتصر على ركني الإسناد أي على المبتدأ مع خبره، الجملة الكبرى: وهي تتركب من المبتدأ وخبر يكون جملةً اسمية أو فعلية، والجملة الصغرى: هي الجملة الاسمية او الفعلية إذا وقعت إحداهما خبراً للمبتدأ[195]، أمَّا عنِ الجملة الفعلية فلقد احتوت الأشعار التي نظمها أبو نواس في الزهد على كثير من الجمل الفعلية الظاهرة وقد كان عدد تلك الجمل مئة وسبعاً وثلاثين جملةً حتى انها فاقت بذلك الجمل الاسمية التي جاءت في شعره

(194) النحو الوافي، عباس حسن: 1 / 15.

(195) يُنظر: النحو الوافي: 1 / 15.

هـذا بأضـعاف ولا غرابـة في ذلـك إذ أن أبـا نـواس كـان دائمـاً مـا يسـعى في شـعره الزهـدي الى الأمـر بـالمعروف والنهي عـن المنكـر والدعوة الى صالح الأعمال والترغيب في معاني الخير والرضا، كم كـان يحـذِّر مـن العصـيان والفجـور والبغي فكانـت تلـك معـاني دعويـة خالصـة لا تقـوم إلا بالفعـل والأمـر والنهي والاستقصـاء، ومن ذلك قوله[196]:

أخـي مـا بـالُ قلبِـك لـيس ينقـى

كأنَّـــك لا تظُـــنُّ المـــوتَ حقـــا

ألا يـــا ابـــنَ الـــذين فنـــوا وبـــادوا

أمـــا واللهِ مـــا بـــادوا لِتبقـــى

ومـــا لـــكَ فـــاعلمَن فيهـــا مقـــامٌ

إذا اســـتكملتَ آجـــالاً ورزقـــاج

ومـــا لـــكَ غيـــر مـــا قـــدَّمتَ زادٌ

إذا جعلـــت إلـــى اللهـــوات ترقـــى

(196) ديوان أبي نواس: 610.

ومـــا أحـــدٌ بـــزادك منـــك أحظـــى

ومـــا أحـــدٌ بـــذنبك منـــك أشـــقـج

فقد أوردَ في هذه المقطوعة مجموعةً من الجمل الفعلية وكان اعتماده على تلك الجمل واضحاً في إيصال أفكاره والتأكيد على المبادئ التي آمن بها وجعل يسوق لها في شعره وفي غالب تلك الجمل كان الكلام موجهاً الى المخاطَب مع شيء من الحكمة والموعظة الحسنة، وكان قد عُرِفَ في شعر أبي نواس الزهدي اسلوبُ النصح والإرشاد والتوجيه فقد اعتمد هذا الأسلوب كذلك على تكرار الأفعال والجمل الفعلية واعتمادها اساساً في تتمة العملية الإصلاحية، فها هو يقول في إحدى قصائده[197]:

خَـــــلّ جَنْبيـــــكَ لـــــرَامِ

وامْـــــضِ عنـــــهُ بســـــلامِ

مُـــتْ بـــداءِ الصـــمتِ خيـــر

لـــــكَ مِـــــنْ داءِ الكَـــــلامِ

رُبّمـــــا اســـــتَفْتَحتَ بـــــالْمَزْ

حِ مغـالـيـقَ الحمـــامِ

---

(197) م، ن: 784.

ربّ لفـــــظٍ ســـــاقَ آجـــــال

لَ نِيَـــــــــــامٍ وقيـــــــــــامِ

إنّمَـــــا السّـــــالِمُ مَـــــنْ ألْ

جَـــــمَ فَـــــاهُ بِلِجَـــــامِ

فـــالبَسِ النـــاسَ علـــى الـــصّ

حـــــةِ مـــــنهمْ والسّـــــقامِ

وعلَيـــــكَ القَصْـــــدَ إنّ ال

قصـــــدَ أبْقَـــــى للحُمـــــامِ

ويقول[198] في أخرى:

يـــا ســـائلَ الله فـــزتَ بـــالظفر

بـــالنوال النهـــيّ لا الكـــدر

فارغـــب إلـــى الله لا إلـــى بشـــرٍ

منتقـــلٍ فـــي البِلـــى وفـــي الغيـــرِ

(198) ديوان أبي نواس: 425.

وارغـــب إلـــى الله لا إلـــى جســـدٍ

منتقـــلٍ مـــن صـــبا الـــى الكِبـــرِ

فقد دعا الى الله وحده لا الى البشر الذي تسوقه الأقدار الى الموت والفناء، وكان ذلك باعتماده على الأفعال (أفعال الأمر) من خلال مبدأ النصيحة والنصح والإرشاد وحب مساعدة الآخرين وخدمتهم، وانقسمت الجملة الفعلية في شعر أبي نواس الزهدي على الأفعال الثلاثة: الماضي والمضارع والأمر فنجد أن الجمل التي فعلها فعل ماضٍ وردتْ تسعةً وخمسين مرةً، كما أن الفعل المضارع ورد اثنين وخمسين مرةً، في حين أن ستةً وعشرين جملةً كان فعلها فعلُ أمرٍ، وإنما كانت نسبة الأفعال الماضية هي الأعلى ذلك ان أبا نواس اعتمد في كثيرٍ من قصائده الزهدية على الموعظة والتذكير واستنباط واستخلاص الدروس والعبر من أخبار الأمم السابقة، ولا ننسى كذلك انه حيا حياةً مليئةً بالفواحش والمجون والمعاصي فراح يستذكر تلك الأيام التي أباح لها نفسَه وأباحت له نفسها ويستنتج من خلال الذكرى الدروس والعبر بغيةَ إيضاح السبل التي تهوي بالمرء الى الجحيم وتمييزها عن السبل التي تجعل من الإنسان زكياً طاهراً، أما الفعل المضارع فقد وثب اليه في الوصف واستعان بتلك الأفعال المضارعة في الوصف والاستقصاء وبيان الحقَّ من الباطل لمن لا

يعـرفُ هـذا مـن ذاك، وكان قـد اعتـاد في شـعره هـذا ان ينصح الناس ويرشدهم الى سبيل المعروف والفلاح والنجاة إذ تمثل ذلك عن طريق فعل الأمر الذي يتجلى فيه موقفه في المسائل جميعاً التي عالجها في شعره الزهدي فإنما ان يأمرَ وينهي ولا شكَّ في ان أمره كان ايجابياً هادفاً كنهيه الذي أراد منه الصلاح والعصمة والنجاة من عذاب النار.

أمَّا عن الجملة الاسمية فقد وردت في شعر أبي نواس الزهدي وتكررت في اماكنَ عديدةٍ وبين المعاني والموضوعات المختلفة ولمْ تتعدَ في مجملها العام وظيفةَ الإقرار والتمييز والابانة وهي أقلُّ بكثير في ورودِها مقارنةً بالجملة الفعلية في هذا الشعر الخاص بأبي نواس فالجملة الفعلية تتكون من أفعال في حين ان الجملة الاسمية تتكوَّن من اسمين احدُهما مبتدأ والآخر خبر له، يقول ابو نواس[199]، في أخباره عن الموت والمنايا التي تقرض البشر:

والمنايـــــــــا آكِـــــــــلات

شَـــــــــرِباتٌ للأنـــــــــامِ

(199) ديوان أبي نواس: 784.

فقد أخبرَ هاهنا عن مبتدأ مبهمٍ (المنايا) بالخبر المرفوع وهو الآكلات ببدلٍ (شاربات) ثمَّ بجار ومجرور (للأنام) فلم تتعدَّ وظيفة الاسم هنا إطار الأخبار والإقرار وتوضيح الصورة الدلالية، ويقول كذلك في وصف الإنسان المتكبّر المنَّان[200]:

يرى عليكَ بهِ فضْلاً يبينُ بهِج

إنْ نال في العاجِلِ السلطانَ والجاهَا

مُثْنٍ على نفسِهِ راضٍ بسيرتِها

كَذَبْتَ يا خادِمَ الدّنيا ومولاهَا

أنْتَ اللّئيمُ الذي لم تَعْدُ هِمّتُهُ

إيثَارَدنْيا إذا نادَتْهُ لَبّاهَا

يا راكبَ الذّنْبِ قد شابتْ مَفارِقُه

أما تخافُ منَ الأيامِ عُقباهَا

فقد أخبر عن ذلك الإنسان المتكبر في البيت الثاني (مثنٍ) خبر لضميرٍ مستترٍ تقديره هو كما في قوله راضٍ.

---

(200) م، ن: 931.

ب. الجملة الخبرية والإنشائية

وبصيغة التراكيب جاءتْ في شعر أبي نواس الزهدي كذلك الجملة الخبرية والإنشائية إذ وثَّقتْ بوظيفتها الدلالية المعطياتِ والمعاني كلَّها التي دعا شاعرنا أبو نواس إليها في شعره الدعوي هذا، الجملة الخبرية أو الخبر كُلُّ كلامٍ يحتمل الصدقَ والكذبَ لذات قائِلِه، "ذهب الأكثرون الى أن الخبر يكون صادقاً إذا طابق الواقع ويكون كاذباً إذا لم يكن كذلك فإذا قال قائل: (جاء أخوك من السفر) وكان هذا الخبر يؤيده الواقع بمعنى أن أخاك قد جاء بالفعل من سفره فذلك هو الصدق ويسمى الخبر صادقا أمَّا إذا لم يكن كذلك فلم يقدم أخوك من السفر فهاهنا يكون الخبر كاذباً"[201]، فيخرج عن هذا المعنى الإخبار التي وردت عن القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة والبديهيات التي لا شَكَّ فيها لأنها لا يمكن أن تحمل الكذب، والخبر عادةً ما يكون على أضْرُبٍ هي[202]:

1. **الخبرالابتدائي**:هو الخبر الذي يكون خالياً من المؤكدات ذلك ان المخاطَبَ خاليَ الذهن من الحكم الذي تضمَّنه.

(201) البلاغة فنونها وأفنانها، فضل حسن عباس: 62.

(202) يُنظر: البلاغة والتطبيق، أحمد مطلوب و كامل حسن البصير: 102 .103.

2. **الخبر الطلبي**: هو الخبر الذي يؤكد بمؤكِّدٍ واحدٍ إذا ترددَ المخاطَبُ فيه ولا يعرف صحَّتَه من عدمها.
3. **الخبر الإنكاري**: هو ذلك الخبر الذي يؤكَّدُ عادةً بأكثر من مؤكِّد وذلك الإنكار المخاطب له.

ووردت أخبارٌ كثيرةٌ في شعر أبي نواس الزهدي جاءت في عمومها متناسقة وما يدعو اليه أبو نواس من برٍّ وتنسُّكٍ وتقوى وصلاح والدعوة الى فعل الخير والعمل على إيقاف إيغال الناس في الذنوب والمعاصي والفواحش، فهو يشير الورع ويدعو الى تقوى الله وابتغاء مرضاته والفوز بتجارة الفلاح ورضوان الله، إذ يقول[203]:

من اتقى اللهَ فذاك الذي

سِيقَ ليه المتجرُالرابحُ

ويقول في قصيدةٍ أخرى يصف فيها الموت[204]:

ان للموتِ أخذةٌ

تسبق اللمحَ بالبصرْ

(203) ديون أبي نواس: 218.

(204) ديوان أبي نواس: 325.

كما يشير في قصيدة أخرى الى الوقار ويدعو اليه مجسداً بذلك مغفرةَ الله تباركَ وتعالى التي هي أكبر من ذنوب البشر، فقد ترسخت رؤية اعتقادية لدى أبي نواس بأن عفو الله عز وجل أكبر بكثير من حجم الذنوب الذي يقترفها الإنسان، لذا فإنه كان غالباً ما يلهج بموضوعة العفو لقناعته بأنها من أكثر الموضوعات التي تجعله قريباً من الله عز وجل، فهي تفتح له باب التوبة والعودة إلى خالقه، فيقول[205]:

يـــــا نواســـــيُّ تـــــوقّر

أو تعـــــــــزَّأو تصـــــــــبّرْ

ان يكـــــن ســـــاءكَ دهـــــرٌ

فبمـــــا ســـــرَّكَ اكثـــــرْ

يـــا كبيـــر الـــذنبِ عفـــو الـــ

ـــــله مـــــن ذنبِـــــك اكبـــــرْ

أكبـــــر الأشـــــياء عـــــن اصـــــ

ـــــغرِ عفـــــو الله أصـــــغرْ

---

(205) م، ن: 325.

لـــــــــيس للإنســـــــــان إلا

مـــــــا قضـــــــى الله وقـــــــدَّرْ

لـــــــيس للمخلـــــــوقِ تدبيـــــــ

ـــــــرُ بـــــــل الله المـــــــدِّرْ

أما الجملة الإنشائية أو الإنشاء فهو "كل كلام لا يحتمل الصدق والكذب لذاته"[206] والإنشاء قسمان الاول: الإنشاء الطلبي وهو ما يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب وهو على خمسةِ أنواع: الأمر، النهي، الدعاء، الاستفهام، التمني، والثاني: هو الإنشاء غيرُ الطلبي وهو ما لا يستدعي مطلوباً وهو على اساليبَ مختلفةٍ منها التعجب والمدح والذم وصيغ العقود والقسم والرجاء[207]، لذا سنعرض الجملة الخبرية عبر محورين:

1. **الإنشاء الطلبي:** لقد وردَ الإنشاء الطلبي في شعر الزهد عند أبي نواس من أنَّ الامر او أسلوب الأمر ورد تسعَ عشرةَ مرةً

(206) البلاغة والتطبيق: 121.

(207) يُنظر: م، ن: 121 .142، البحر الرائق شرح كنز الدقائق، زين الدين بن نجيم الحنفي
4 / 13.

ثم النداء الذي ورد ثلاثَ عشرَ مرةً في حين ان الاستفهام ورد في شعر أبي نواس الزهدي ستَ مراتٍ.

وإنَّ ما كان من زيادةِ الأمر على النداء والاستفهام فلأنَّ ذلك كان بسبب اللهجة الدعوية التي تبنَّاها أبو نواس في شعره هذا إذ أقام تلك المعاني ليحضَّ الأخلاق والفضيلة ويدعو الى توحيد الله عبر مجموعةٍ من أساليب الأمر التي تنوعت في دلالاتها بين دعوةٍ الى دوامِ تذكُّرِ الموت وضرورة اللجوء الى الله كما جاءتْ في تجسيد معنى العبودية لله وحده ووضَّحتْ تلك الأساليب معانيَ جديدة كان النواسي قد آمن بها وصار يدعو اليه سرا وعلنا.

إذ يقول في معرض دعوته إلى العمل الصالح، داعياً كل من يستطيع سماعه إلى التوجه إلى الله تبارك وتعالى[208]:

فاســـمُ بعيْنَيـــكَ الـــى نســـوةٍ

مهـــــورهن العمـــــل الصـــــالحُ

ومن أبرز ما يمكن عده شعراً زهدياً ما أورده النواسي في معرض حديثه عن اللجوء إلى الله تعالى، فالإنسان يلجأ إلى الله

(208) ديوان أبي نواس: 218.

تبارك وتعالى في حال نكوصه وتقصيره في الطاعات والعبادات، أو أنه يقترف الذنوب والمعاصي[209]:

فارغـــب إلـــى الله لا إلـــى بشـــرٍ

منتقـــلٍ فـــي البِلـــى وفـــي الغيـــرِ

وارغـــب إلـــى الله لا إلـــى جســـدٍ

منتقـــلٍ مـــن صـــبا الـــى الكِبـــرِ

كمـا أنـه يسـتثمر موضـوعة الحكمـة ويؤطرهـا بإطارهـا الزهدي فتأتي معبرة وذات دلالة عميقة[210]:

خَـــــلّ جَنْبيـــــكَ لـــــرَامِ

وامْـــــضِ عنـــــهُ بســـــلامِ

مُـــتْ بـــداءِ الصـــمتِ خيـــر

لـــــكَ مِـــــنْ داءِ الكَـــــلامِ

فـــالبَسِ النـــاسَ علـــى الـــصّ

حـــــةِ مـــــنهمْ والسّـــــقامِ

---

(209) م، ن: 425.

(210) م، ن: 784.

وعلَيـــــــكَ القَصْـــــــدَ إنّ ال

قصـــــــدَ أبْقَـــــى للحُمـــــامِ

كما ورد أسلوب النداء في الجملة الإنشائية في شعر الزهد "وهو طلب إقبال المخاطب وان شئت فقل: دعوة مخاطب بحرف ناب مناب فعل، كأدعو أو أنادي وحروفه ثمانية .يا، والهمزة، وأي، وآي، أيا، وهيا، و وا"[211]، فقد أراد أبو نواس من خلال تكرار هذا النداء على طول تلك القصائد أن يبين الدعوة ويعلن التوبة ويكشف عن ذنوبه كي يستغفرَ الله له فضلا عن أن أبا نواس قد اعتمد النصيحة والإرشاد في توثيق معاني الفضيلة التي نادى بها في زهده، فها هو يبدأ بنفسه مخاطباً إياها بوجوب الوقار والصبر والتقى فيقول[212]:

يانواســـــــــيُّ تـــــــــوقّر

أوتعـــــــــزَّأوتصـــــــــبّرْ

يـــا كبيـــرالـــذنبِ عفـــوالـــ

ـــــله مـــــن ذنبِـــــك اكبـــــرْ

(211) البلاغة فنونها وأفنانها: 147.

(212) ديون أبي نواس: 310.

أكبـــر الأشـــياء عـــن اصـــ

ـــــغرِ عفـــــو الله أصـــــغرْ

ويخاطب الانسانَ في قصيدةٍ، أخرى داعياً إياه الى عدم نسيان الموت ومعرفة قدر الحياة الدنيا[213]:

يـــا بنـــي الـــنقص والعِبـــر

وبنـــي الضـــعف والخـــورْ

وبنـــي الضـــعف وفـــي الطبـــا

عِ علـــى قـــربٍ فـــي الصـــورْ

ويقول في أخرى[214]:

يـــا ســـائلَ الله فـــزتَ بـــالظفر

بـــالنوال النهـــيِّ لا الكـــدرج

يـــا قلـــب مهـــلا وكـــن علـــى حـــذرٍ

فقـــد لعمـــري أمـــرتَ بالحـــذرِ

ويقول مرشداً أخاه المسلم:

---

(213) م، ن: 325.

(214) م، ن: 425.

أخي مـا بـالُ قلبِـك لـيس ينقـى

كأنَّـــك لا تظُـــنُّ المـــوتَ حقـــا

الا يـــا ابـــنَ الـــذين فنـــوا وبـــادوا

أمـــا واللهِ مـــا بـــادوا لِتبقـــى

في حـين يخاطـب العاصـي داعيـاً إيـاه إلى تـرك الـذنوب، فيقول[215]:

أيـــا مـــنْ بَيـــنَ باطِـــيـــَةٍ وزِقٍّ

وعـــودٍ فـــي يـــدَيْ غـــاوٍ يُغَنّـــي

إذا لـــم تَنـــهَ نفســـكَ عـــن هواهـــا

وتُحسِـــنْ صَـــوْنَها فإلَيـــكَ عنّـــي

ويقول مستجدياً رحمة ربّه الواسعة[216]:

يـــا رَبِّ إنْ عَظُمَـــتْ ذُنُـــوبِيَ كَثْـــرَةً

فَلَقَـد عَلِمْـتُ بـأنَّ عفـوكَ أعْظَـمُ

---

(215) ديوان أبي نواس: 897.

(216) م، ن: 618.

أمـا أسـلوب الاسـتفهام فقـد عمـد مـن خلالـه الى المحاججـة إذ يسـتفهم عـن الحقـائق التي لا تحجـب فهي كنـور الشمس ويستفهم عن مصير الناس والخلق موجهاً الكلامَ إليهم. فيقول في حديثه عن الموتى مع الأحياء[217]:

أ احتســـــاءً مـــــن الحـــــرا

م وختمـــــاً علـــــى الضـــــررْ؟

أيـــــن مـــــن كـــــان قـــــبلكم

مـــــن ذوي البـــــأسِ والخطـــــرْ؟

وهو يستفهم عمن يرحمه بعدَ رحمة الله الواسعة فلم ولن يجدَ رحيماً رحمناً وسعت رحمتُه السمواتِ والارضَ غيرَ الله، إذ يقول[218]:

إنْ كـــانَ لا يَرجُـــوكَ الا مُحسِـــنٌ

فَـــبِمَنْ يَلُـــوذُ وَيَسْـــتَجِيْرُ المُجْـــرِمُ؟

---

(217) م، ن: 325.

(218) م، ن: 618.

أدعــوك ربَّ كمــا أمــرتَ تضــرعاً

فــإذا رَدَدتَ يَــدي فَمَــنْ ذَا يَــرْحَمُ؟

ويقول في أخرى[219]:

مـــا لـــك بالترهـــات مشـــتغلاً

أفــي يــديك الامــن مــن ســقر؟

كما ورد النهي بوصفه اسلوباً من اساليب الإنشاء الطلبي إذ نهى ان يكون الإنسان متخاذلاً غيرَ مستعِدٍّ لاستقبال الموت في أي لحظة فإنما الآجال بيد الله لا يعلمها الا هو سبحانه هو يحيي ويميت.

ويقول في هذا المعنى[220]:

كُـــنْ مـــعَ الله يكـــن لكْـــج

و اتـــــــــقِ الله لعلـــــــــكْ

لاتكـــــــــن الا معـــــــــداً

للمنايـــــــــا فكأنـــــــــكْ

---

(219) م، ن: 425.

(220) ديوان أبي نواس: 666.

ان للمـــــــــوت لســـــــــهماً

و اقعـــــاً دونـــــكَ او بـــــكْ

2. **الإنشاء غير الطلبي**: "كنعم وبئس وما تضمن من معنى إنشاء المدح والذم وكذا عسى وفعل التعجُّب"[221] وورد التعجب بصيغته السماعية في شعر أبي نواس الزهدي فقد وصف الموت متعجباً منه كما في قوله[222]:

لله درُّالمـــــوت مـــــن خطـــــةٍ

فيهـــا اســـتوى الأحمـــق والـــداهي

كما كان أسلوب الذم موجوداً في شعره هذا إذ قال في معرض وصفه حال الإنسان المتكبّر فضلا عن ذمه وذم بطانته لأنه أوغلَ في تماديه وتكبر على سواه[223]:

يـا بُـؤسَ جِلْـدٍ على عَظْـمٍ مُخَرَّقَـةٍ

فيـــه الخـــروقُ إذا كلمتَـــهُ تاهَـــا

(221) البحر الرائق شرح كنز الدقائق: 4 / 13.

(222) ديوان أبي نواس: 940.

(223) م، ن: 931.

ويلاحظ مما تقدَّم أن الإنشاء الطلبي بأساليبه المتعددة كان أكثر وروداً من الإنشاء غيرِ الطلبي وذلك لكثرة الأساليب الموجودة فيه من جهة واعتماده في تجسيد الحالة ورصد أبعادِها من قبل الشاعر من جهةٍ ثانية.

المبحث الثاني
الصــورة

إنَّ امتلاك الأديب او الشاعر لأدوات كلامية فنية بسيطة ولقدرة خارقة على الحفظ والاسترجاع فضلا عن بلوغ فنون البلاغة والتعبير لم يكن ذلك في يومٍ من الأيام كافياً لان يكون العمل الأدبي فنياً هادفاً يعيش في ذهن متلقيه مدةً أطول إذ لابدَّ ان تكون هنالك بواعث نفسية داخلية تُكَوِّنُ لدى المتلقي عبر النص الأدبي صورةً إيحائية كاملة ودقيقة، ومن خلال تلك الصورة يكون العمل الأدبي هادفاً ثم يصل الى التشخيص الدقيق في وصف الأحوال والأهوال ومحولة ربطها بواقع الشاعر، فيرى الدكتور جابر أحمد عصفور أن "الصورة الفنية مصطلح حديث صِيغَ تحت وطأة التأثر بمصطلحات النقد الغربي والاجتهاد في ترجمتها غير أن المشاكل والقضايا التي يثيرها هذا المصطلح موجودة في الموروث"[224]، وقد عُرِّفَتْ الصورةُ بتعاريفَ كثيرةٍ منها أنها أيةُ هيئةٍ تثيرها الكلمات الشعرية بالذهن شريطةَ ان تكون هذه الهيئة معبِّرة وموحية في آنٍ واحد' ويقول[225]، الدكتور عبد القادر الرباعي: "إنَّ ذات الشاعر عادةً تنظر الى

---

(224) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، جابر أحمد عصفور: 7.

(225) الصورة الفنية في شعر أبي تمام: 29.

الموضوع بودٍّ او بكره وتختزنه بالذاكرة مصحوباً بهذا الإحساس او ذاك حتى إذا صادفت موقفاً انفعالياً ممثلاً او مخلفاً قرعتْ باب الذاكرة لتولد من جديد او تشكل في صور موحية"، وإنما ترتبط تلك الصور بذات الشاعر وما تجيش به نفسه من انفعالات وتأثيرات تنعكس بشكلٍ فنيّ نفَّاذٍ عن طريق الشعر أو النثر أو ما شابه.

والصورة الشعرية هي الجوهر الثابت والدائم في الشعر ويظل الاهتمام بها قائماً ما دام هنالك شعراء مبدعون، ونقاد يحاولون تحليل ما أبدعوه وإدراكه والحكم عليه كما ان الكشف عن الصورة في شعر ما يقودنا الى فهم هذا العالم النفسي والفكري والثقافي الذي يعيشه الشاعر نفسه ويفتح أمامنا مغاليقه وعوالمه ويعيننا على معرفة طبيعة هذه المسيرة الإبداعية ودور الصورة في إقامة الدعامة الفنية[226].

وتتضمن الصورة عادةً أربعة عناصرَ رئيسيةً[227]:

1. عنصر ظاهري وغالباً ما يكون من العالم المادي المحسوس فقد قيل ان الصورة هي كلُّ شيءٍ تقوى على رؤيته أو سماعه

(226) تطور الصورة في الشعر الجاهلي: 18 .19.

(227) يُنظر: الصورة الفنية في النقد الشعري، عبد القادر الرباعي: 86 . 88.

أو لمسه أو تَذوَّقَه كما ان الصورة الناجحة هي التي تأتي من تحويل المعاني المجردة الى هيئات أو اشكالٍ ذاتية تنقل الحواس.

2. عنصر باطني وهو في الغالب يمثِّل أفكار المبدع ونفسيته التي هزَّتها تجربةٌ عميقةٌ وأبعاده الأيديولوجية الخاصة.
3. الانفعال الذي يجعل المبدع يتأمَّل تجربته وينشرُ أجزاءها ثم يضمها الى وحدات متناسبة يفتش لها عن موضوعات أو صور تحملها فالتجربة مرتبطة بالشعور والحواس أبداً.
4. القيمة، إذ ان القيمة التي تنتجها الصورة هي تنظيم التجربة الإنسانية العامة وتحقيق وحدة الوجود.

فهذه العناصر توحي كلٌّ على حسب ما فيها من أدوات تعبيرية تكون مكملةً للصورة ثم الخروج برؤية فنية شاملة تغطي جزئياتُها الحدثَ بطريقةٍ ايحائيةٍ دقيقة ونفَّاذة.

كما ان الصورة الشعرية مناهجها متعددة وأساليبها مختلفة، واستخدامها يختلف من شاعرٍ الى آخر، فصورة الأطلال مثلاً يشترك فيها الشعراء جميعاً سواءً كانوا من العصر الجاهلي أو العصر الأموي أو العصر العباسي وكذلك صورة المرأة والحيوان والطبيعة وغيرها، فكل شاعرٍ يرتب صوره بعناصرَ

جديدةٍ ومن هنا يكون التباين في استخدامها، وعلى ذلك في تختلف وتتفرد نم شاعر لآخر رغم تأثُّرهم بمؤثرات واحدة.

كما ان لهذه الصورة أثراً واضحاً في جودة ونجاح النصوص الأدبية إذ "ان جودة الشعر تقاس بما فيه من صورٍ حيةٍ تجسد تجارب المبدع ومشاعره ومواقفه تجاه الحياة والمجتمع، وإذا خلا الشعر منها، فَقَدَ روحَه وجوهَرَه فالصورة هي وسيلة المبدع الجوهرية لنقل تجربته وابراز وجدانه"[228]، ففقدان الصورة الحية لأي عملٍ فنيّ ولاسيما الإعمال والنصوص الأدبية يعني غياب الاتصال الروحي بين النصوص ومؤلفيها من جهة وفتور العلاقة بين تلك النصوص والقارئ من جهة ثانية.

وليست الصورة بمعزل عن الموسيقا الشعرية والإيقاع الشعري إذ أن "الموسيقى الشعرية تسهم في بلورة الحالة الوجدانية التي تحملها الصورة إسهاماً كبيراً، ومن خلال الإيقاع الشعري يتمكن الشاعر من تزويد صوره بشحنات كبيرة من العواطف والانفعالات، ونحن نوافق الرأي الذي يقول أن لكل وزن شعري دلالة عاطفية وانفعالية محددة، وأن الشاعر لا يختار الوزن بطريقة اعتباطية وإنما يهتدي إلى الوزن المناسب

(228) في النقد الأدبي الحديث منطلقات وتطبيقات، فائق مصطفى و عبد الرضا علي: 43.

بإيعاز من حالته الوجدانية التي تهديه في الوقت نفسه الى الصور الشعرية المناسبة"[229] وللصورة الناجحة التي تجعل من الأشكال الفنية ولاسيما الأدبية منها مورداً حياً بالمعاني والدلالات مجموعةٌ من الخصائص منها:

1. العاطفة: إذ لا تُعدُّ الصورة في النقد الحديث ناجحةً الا إذا حملت شحنةً عاطفيةً في كلِّ جزءٍ من أجزاءِها إذ ان العاطفة هي أهم ما في الصورة وبدونها تصبح الصورة فارغة، كذلك تغدو العاطفةُ لا معنى لها بدون الصورة.
2. ان الصورة الإيحائية ابعد تأثيراً في النفس وأكثر علوقاً في الذهن من الصورة التقريرية الوصفية فهي أبعث على المتعة والإحساس بالجمال وتحسس الإبعاد الفنية.
3. الوحدة: وتعني أن تتم صور الشاعر في نطاق وحدةٍ معينةٍ لا أن تكون متنافرة لا رابط بينهما حتى تثير في النفس انطباعاً موحداً وفكرةً واحدةً، بدلاً من انطباعات وافكارٍ متناقضة[230]، ومثلما للصورة خصائص ومضامينَ عديدة

(229) الصورة الشعرية عند شوقي، ثائر محمد جاسم الجبوري، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، كلية الآداب، 1987.

(230) يُنظر: الصورة في شعر بشار بن برد، عبد الفتاح صالح نافع: 79 . 83.

فإنها كذلك تكون على انواعٍ متعددة ومتنوعة منها الحسية والذهنية والصورة السمعية والصورة الحركية والصورة الذوقية كما توجد الصورة الشمية والصورة اللمسية والصورة العضوية والرمزية فضلا عن التقليدية والمبتكرة[231].فأمَّا الصورة الحسية فقد اهتم الدارسون بها وكانت التصورات التي خرجوا بها هي ان الصورة الفنية الحسية أو الصورة العامة تكون ثمرة الحواس التي تتكفل بترجمة المعاني والأفكار في ذهن الشاعر[232]، وهي على أنواعٍ متعددة منها: الصورة البصرية المنبثقة من رؤية الشاعر البصرية المطلة على الواقع الذي يحياه وهذا لا يعني انه لا يعرض صوراً بصريةً تكون بمعزل عن الأبصار واستخداماتها من رؤيةٍ أو ما شابه بل يعتمد أسلوب العرض من خلال الوصف وأول مرحلةٍ لتكوين الصورة الفنية تتأتى عن طريق الوصف النقلي ويلتقط الشاعر الجمال الحسي بين أمرين مختلفين فيصور الاشياءَ جامدةً أو متحركةً في اطارها الزماني أو المكاني[233]، وأمَّا الصورة السمعية فهي امتداد

(231) يُنظر: التفسير النفسي للأدب، عزالدين إسماعيل: 63 .76.

(232) يُنظر: الصورة الفنية معياراً نقدياً، عبد الإله الصائغ: 406.

(233) يُنظر: الصورة الفنية ونماذجها في إبداع أبي نواس، ساسين عساف: 23.

المـؤثرات الصـوتية ومـدلولاتها النفسـية فالكلمـة مـاهي الا صوت أو مجموعة من الأصوات تشكل تركيبةٍ إيقاعية تقترن بمعنى من المعاني[234]، والصورة الذوقية واللمسية والشمية تجسد تلاحم الشعراء في قوة الوصف وقدرتهم على التصوير المباشر المقرون في سبيل الحصول على الديمومة التي تخلق من النص الأدبي نصاً خالداً.

أمَّا الصورة الذهنية فينصرف معناها الى جانبين أحدهما هو أن الصور الفنية جميعها تتسم وتتميز بصفة ذهنية طالما أن الشاعرَ يمخض المعاني التي يريد نظمها شعراً في ذهنه، والصورة الفنية على وفق هذا المنظور هي التي تصور الوضع في ذهنه عند أرادة الوضع، والآخر يعبر عن الصورة الفنية على انها تصور لمعانٍ ذهنيةٍ معنويةٍ ليست لها ما يقابلها في العالم الحسي سوى ما يبدو من آثارها مثل الكرم والشجاعة والعفة وغيرِ ذلك من المعاني[235].

الصورة في شعر الزهد عند أبي نواس

---

(234) يُنظر: الصورة الفنية في شعر الصعاليك قبل الإسلام، عبد الجبَّار حسن علي الزبيدي، رسالة ماجستير، جامعة الموصل، كلية الآداب، 1987: 160.

(235) يُنظر: م، ن: 168.

لعل أبي نواس ترك لنا من أرث أدبي كبير والذي يتمثل بشعره الذي تعددت فيه المعاني وتنوعت فيه الموضوعات يعد واحداً من أكبر شعراء العربية، فقد نظم في العديد من الموضوعات التي تجسد لنا روحَه المليئة بالحيوية وثقافته الواسعة وإمكاناته اللغوية الزاهرة فكان لابدَّ من ان يخلق لنا شعرُه صوراً فنية في غاية الدقة والجمال سواء في الغزل أو المديح أو الخمرة أو شعر الطرد أو الرثاء أو المذكرات.

في حين كان شعر الزهد لهذا الشاعر وان بدا برونقٍ وضَّاءٍ يُعبر عن روح فياضة صادقة الا انه كان أقل حظاً في توافر الصور واستخدامها فيه والافتقار الى الصياغة الفنية الإبداعية ذات الدلالات المتعددة ما أدى إلى طغيان البساطة والسهولة والمباشرة في التعبير عن هذا النوع من الشعر إذ كان أبو نواس يركز في حال زهده على إثبات المعنى الذي آمن به هو أمام القوم بغض النظر عن الوسيلة (الشعر) التي اعتمدها في توصيل المعنى وجودتها فكان شعره الزهدي اقل المعني والموضوعات التي نظم فيها تجسيداً بالصور الفنية الموحية.

إلا ان ذلك لا يعني باي حالٍ من الأحوال خلو شعر أبي نواس في الزهد من بعض الصور الدلالية الموحية فقد قامت

بعض قصائده الزهدية على الايحاءات والتصوير الفني الهادف، فيقول ابو نواس[236]:

أيّـــــةُ نـــــارٍ قـــــدَحَ القـــــادِحُ

وأيُّ جِـــــــدٍّ بلـــــــغَ المـــــــازِحُ

لله دَرُّ الشَّـــــيْبِ مـــــن واعـــــظٍ

وناصِـــحٍ لـــــو سُـــــمِعَ الناصـــــحُ

في هـاذين البيتـين جسـد لنـا أبـو نـواس صـورة وضّحَ مـن خلالهـا رؤيتـه العقائديـة في حـال النـاس والخلـق فاسـتعمل مصطلح النارِ استعارةً للدلالة على الشيب، قال تعالى "وَاشْتَعَلَ الـرَّأْسُ شَـيْباً"[237]، ذا تشـمل الاسـتعارة التشـبيه البليـغ كتشـبيه الشيب بالنار التي تغزو الهشيم كما في قوله تعالى "الَّذِي جَعَلَ لَكُـمُ الْأَرْضَ مَهْـداً"[238]، فشـبه الأرض بالمهـاد المفترش[239]، فقـد مهَّـدَ أبـو نـواس في بيتـه الاول المضـمن للمعـاني الاسـتفهامية التي

(236) ديوان أبي نواس: 218.

(237) مريم: 4.

(238) طه: 53.

(239) يُنظر: منـاهج البحـث البلاغي في الدراسـات العربيـة، عبـد السـلام عبد الحفيظ: 192.

تعجب عنها فالقدح حال امتلاء الرأس شيباً واستأنفَ الكلام بعلاقة الجد بالهزل وكبر السن بالوقار وأفصحَ عن ذلك في البيت الثاني اذ قال فيما معناه يَعِظُ الشيبُ الانسانَ الحليم ويكسبه السكينة والوقار وانه موعظة حسنة تجعل من الفرد براً وقوراً شريطةَ أن يفهم معنى النصح والنصيحة والإرشاد.

ولم تكن الصور الشعرية التعبيرية التي تناولها أبو نواس وجسدها في شعره الزهدي مكررةً أو جاهزة بل جاءت جميع الصور الإيحائية في زهد هذا الشاعر جديدةً متجددة متغيرة باختلاف المضامين التي دعا إليه في شعره هذا فلم يعتمد على صور جاهزة أو مكررة، وقد تختلط الصورة الجاهزة بالصورة المتكررة إلا أن الفارق بين هذين الضربين من الصور الشعرية هو أن الصورة المكررة يبدعها الشاعر بنفسه بينما الصورة الجاهزة يأخذها الشاعر من غيره[240].

ويقول في قصيدةٍ أخرى[241]:

أرى كـلَّ حـي هالــكٍ و ابــن هالــكٍ

---

(240) يُنظر: تطور الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث، نعيم اليافي: 67.

(241) ديوان أبي نواس: 662.

وذا نســـب فــي الهـــالكين عريـــقِ

وأشـار في شـطري البيـت الى المـوت وان الإنسـان عريـق في المـوت لان كلَّ أسـلافه قـد سـبقوه الى الآخـرة وذلـك هـو مصـير البشـر، فقد صنع من خلال وصفه هذا تراكما في صياغة المعنى ادَّى الى تقويـة الدلالـة وفي زيـادة التصـاق فعـل المـوت بالإنسـان منذ الخليقة الأولى.

وقـال أبـو نـواس في ضـرورة تقـوى الله عـزَّ وجـلَّ ذلـك ان المـوت قـادم لا محـال فيسـقط مـا يشـاء بأمـر ربِّه[242]:

(242) م، ن: 666.

كُـــنْ مـــعَ الله يكـــن لكْـــج

و اتـــــــــقِ الله لعلـــــــــكْ

لاتكـــــــــن الا معـــــــــداً

للمنايـــــــــا فكأنـــــــــكْ

ان للمـــــــــوت لســـــــــهماً

و اقعـــــاً دونـــــكَ او بـــــكْ

ان للمـوت لسـهما وفي سـهام المـوت اسـتعارة فقـد أراد استمرارية تهديد الموت للإنسان وانه ميتٌ في حال كونه حياً فقد أُستعير السهم لشدة وقوعه وسرعته في القضاء على الطريدة وكذلك الموت يكون حازماً قاطعاً مجهولاً في وقته وكيفيته فناسبت تلك الاستعارة.

وقال في قصيدةٍ أخرى جسد فيها نفوره من المعاصي والذنوب والفواحش واشمئزازه منها ومن توابعها الدنيئة داعياً الإنسان الهاوي الذي لفحته سكرة الذنوب وسذاجة المعاصي الى ان يرشد ويفيق الى أمره وإلا يتركه ويحجب نفسه عنه فقد قال[243]:

(243) م، ن: 897.

أيا مـــنْ بَيـنَ بـاطـِيـَةٍ وزِقٍّ

وعـــودٍ فـي يـــدَيْ غـــاوٍ يُغَنّـي

إذا لـم تَنـهَ نفسـكَ عـن هواهـا

وتُحسِـــنْ صَـــوْنَها فإلَيـكَ عنّـي

فـانِّي قـد شَـبِعتُ مـن المعاصـي

ومـــن لـــذّاتِها وشَـــبِعْنَ منِّـي

ومـن أسـوأ و أقـبح مـن لبيـبٍ

يـــرى متطرِّبـــاً فـي مثـلِ سِـــنِّي

فقد استخدم كلمة (الشبع) وهي استعارة لان الشبع "ضد الجوع يقال شبعَ خبزاً ولحماً ومن خبزٍ ولحمٍ"[244]، كما أفادت الكفاية والإقناع من الفعل حتى تكونت علاقة عكسية متشابهة ! بين الذنب والإنسان المذنب ثم تكوين الصورة التي دللَ عليها في البيت الثاني، ويعود مرةً أخرى الى الموت فيقول[245]:

(244) مختار الصحاح: 233.

(245) ديوان أبي نواس: 953.

كـــــلُّ نـــــاعٍ فســـــيُنعج

كـــــلُّ بـــــاكٍ فســـــيُبكى

كـــــلُّ مـــــذخورٍســـــيفنى

كـــــلُّ مـــــذكورٍسيُنْســـــى

لقد أفاد ذلك التكرار الذي الذي يُلاحظ في البيتين الاول والثاني معنى الشمول والسعة ولذلك فان الموت لن يدع حياً وإنما الباكي سيبكى عليه والناعي اليوم فسوف ينعى عليه في ايامٍ لاحقة، وعاد في البيت الثالث يقول ويجسد معنى الأبيات الأولى[246]:

لـــــيس غيـــــرُالله يبقـــــى

مـــــن عـــــلا فـــــالله أعلـــــى

فقد وظَّفَ المعنى في هذا البيت في سياق الأبيات السابقة فقد توصلَ الى حقيقةٍ توافقية مع الأبيات السابقة بشأن بقاء الله تباركَ وتعالى وفناء المخلوقات كلِّها، ولكن أبا نواس كان كلما أراد ان يجسد موضوعا أو معنى من معاني الزهد فقد كان يسلك طريقاً مبسطاً سهلاً فيه من البساطة والسهولة والمرونة ما يجعل

(246) م، ن: 953.

الشعر شعراً سلساً وكأنه من السهل الممتنع فلن يستعصيَ على أحدٍ من أصحاب الحجى البسيطة ان يدرك ما وراء النص من معانٍ وظواهرَ دلالية، ذلك ان ابا نواس كان يريد من وراء نظمه لذلك الشعر ان يثبتَ لمن يريد موقفاً عقائدياً معيناً لطالما أُتهم هو بالجنوح عن المسلك الديني المعروف واتهم ايضاً بالشعوبية والزندقة وبغير ذلك من التهم التي اراد درأها عنه بالأشعار[247].

(247) يُنظر: الزندقة والشعوبية في العصر العباسي الاول: 83.

المبحث الثالث
الموسيقا "الإيقاع"

إن اختيار الألفاظ المناسبة التي تنسجم والمعاني التي استدعاها الشاعر لتناول معنى معين ووضع تلك الألفاظ في سياقات تعبيرية موحية لا يعني ذلك ان الشاعر قد بلغ الغاية الفنية السامية في فنه الأدبي، إذ ينبغي أن تتشكل تلك المفردات التي تحمل صوراً إيحائية في قوالبَ موسيقيةٍ وارتابٍ تناغميةٍ لافتةٍ للحواسِ وانتباهها، فليست أهمية هذا التناغم الموسيقي الداخلي والخارجي بأقلَّ من أهمية اختيار المفردات المناسبة ووضعها في صورٍ دلالية وذلك لان الموسيقا أصبحت فيما بعد تشكل جانباً من جوانب النص الأدبي والفني من خلال التناغم والأصوات وأجراس الكلمات والألفاظ وغيرها من الرموز الصوتية التي تدلل على نفسها عن طريق الحروف والتراكيب والمفردات.

وكُلُّ كلامٍ موزون يتميز عن غيره بالفخامة الموسيقية إذ أن "الكلام الموزون ذو النغم الموسيقي يثير فينا انتباهاً عجيباً وذلك لما فيه من توقع لمقاطعَ خاصةٍ تنسجم مع ما تسمع لتتكون منها جميعاً تلك السلسلة المتصلة الحلقات التي لا تنبو إحدى

حلقاتها عن مقاييسِ الأخرى"[248]، ثم الوصول الى تشكيلٍ فنيٍّ متناسقٍ موحي يجري على القلوب قبل جريانه على اللسان وذلك الفضل يعود الى تلك الحلة الموسيقية التي أودعت في النص سحراً يجذب القارئ اليه ويشدُّ انتباهه بسهولةٍ مطلقة.

ولعل أهم ما يميز الشعر عن النثر هو ان الموسيقا في الاول تكون حاضرةً في الصياغة والتركيب ما تجعل منه رائداً في بريقها ما يؤدي بطبيعة الحال الى تسهيل الحفظ والاسترجاع، والخاصية الموسيقية الإيقاعية في الشعر تعدُّ من أهم الخصائص الفنية الى جانب الصورة والتركيب فقد "حاول القدماءُ تعريف الشعر عرفوه بأنه الكلام الموزون المقفَّى فهم يرون الانسجام الموسيقي في توالي مقاطع الكلام وخضوعها الى ترتيبٍ خاص مضافاً الى هذا تردد القوافي وتكرارها أهم خاصية تميز الشعر عن النثر على أنهم كانوا يدركون تمام الإدراك ان للشعر نواحي أخرى تتعلق بالمعنى الشعري وما فيه من خيالٍ وصورٍ جديدةٍ"[249]، وأشار أرسطو قبلهم في كتاب الشعر الى انه يرى الدافع الأساس للشعر يرجع الى علتين: أولاهما غريزة المحاكاة أو التقليد والثانية غريزة الموسيقا والإحساس بالنغم

(248) موسيقى الشعر، إبراهيم أنيس: 13.

(249) موسيقى الشعر: 21.

لـذلك تشـكل الموسـيقا جانبـاً مهمـا مـن جوانـب قـول الشـعر، "ويسـتعين الشـعر بالموسـيقا الكلاميـة مـن أجـل ان يحقـق في القصيدةِ تماسكاً نسيجياً يصل بها الى تشكيل صفات النوع من دون ذلك تفقد صفة النوع وتتشكل داخل إطار نوعي إبداعي آخر"[250]، والموسيقا هوية الشعر كنايةً عن التلازم الذي لا يمكن فصله بين القصيدة الشعرية والموسيقا والإيقاع.

والموسـيقا عـادةً مـا تكـون مرتبطـةً بموضـوع القصـيدة ومـدلولها العـام إذ "يـرتبط إيقـاع القصـيدة العـام (وزنهـا) بموضـوعها ارتباطـاً وثيقـاً فالقصـيدة التي تتخـذ المحاججـة ومناقشـة الأفكـار والـرد عليهـا لا يمكـن ان تلتفـتَ الى الأوزان القصيرة فضلا عن ان الأوزان الطويلة نفسها تتباين فيما بينها في اختيـار الـوزن المناسـب للموضـوع الواحـد لـذلك نجـد الشـاعر القدير هو الذي يختار الوزن المناسب لموضوع قصيدته وإلا فان سبباً من أسباب إخفاق الموضوع يكون في إيقاعه"[251]، ومنهم من يقسم الإيقاع على أنماط متعددة أولها الإيقاع الصوتي إذ يعد هذا النمط الإيقاعي أكثر أنماط الإيقاع مباشرة وبساطة فهو

(250) القصيدة العربية الحديثة بين البنية الدلالية والبنية الإيقاعية، محمد جابر عبيد: 22.

(251) في النقد العربي الحديث مُنطلقات وتطبيقات: 38.

ينهض على مجموعة من القيم الصوتية التي تولدها المفردات، والثاني إيقاع السرد أو إيقاع الحوار وهو ينبع من ذات الفرد الكاتب والحوار من المشاركة بين الأجزاء المتصلة المتلاحمة والثالث إيقاع البياض ويمثل هذا الإيقاع ظاهرةً صوتية شمولية لا تتحدد مطلقاً بالأصوات بشكلها المجرد فقط بل تشمل كل ما يحيط بها وما يحيل عليها من عناصرَ مكتملةٍ، والرابع إيقاع الأفكار فتحقيق التماسك النصي في القصيدة ينبغي أن يرتبط بالامتزاج بين جميع العناصر المكونة للنص وفي مقدمة تلك العناصر الانسجام بين إيقاع الأصوات وإيقاع الأفكار[252]، لتتحد بذلك ثنائية النص بين اللفظ من جهة والمعنى المراد التعبير عنه من جهة ثانية.

والموسيقا تقسم على قسمين في السياق الشعري العام فهناك الموسيقا الخارجية والموسيقا الداخلية، فأمَّا الخارجية منها فتشمل الوزن (انتماء القصيدة للبحور الشعرية) والقافية والروي والتصريع فما الموسيقا الداخلية "فلعلَ انسجام أصوات الحروف في المقطع الواحد أو الموضوع الواحد يشكل ايقاعاً آخر نحسُّه ونألف تنغيمه الداخلي من غيرِ تكلفٍ أما إذا تكلفتْ آذاننا

(252) يُنظر: القصيدة العربية الحديثة بين البنية الدلالية والبنية الإيقاعية: 37. 52.

تقبله فان نشازاً ما قد يفكك الانسجام وتلك منقصةُ كما نعلم"[253]، ويكاد الشاعر العربي الحديث يخرج عن الأطر المحددة التي له الشعراء السابقون سواءً من ناحية الوزن الموسيقي أو القافية أو الوزان ذلك أن اغلب الشعراء المحدثين قد برعوا في التجديد في المعاني والصور والأخيلة والفضاءات الخيالية ولاسيما ما دعا إليه جماعة الديوان وجماعة أبولو فكان ذلك على حب الموسيقا الشعرية والتناغم الموسيقي الداخلي والخارجي في البيت الشعري، وربما كان لكثرة قراءة الشعر بالمقارنة بإنشاده ووجوده مسطراً على صفحات الكتب بدلاً من تناغمه مع الألواح الموسيقية دواعٍ أساسية أدت في النهاية إلى اندثار الموسيقا الشعرية[254].

الموسيقا في شعر أبي نواس الزهدي

لقد كان تعدد القوافي وتنوع الأوزان من أبرز الخصائص الظاهرة التي تميز بها شعر أبي نواس الزهدي، فلا يلاحظ احتكار الإشعار واقتصارها على بحرٍ واحدٍ دون بقية البحور ولا على قافية معينة دون القوافي الأخرى ما يدلل على اعتماد الشاعر على عنصري التشكيل والتنويع في هذا النوع من الشعر وإنما برز

(253) في النقد العربي الحديث مُنطلقات وتطبيقات: 39.

(254) يُنظر: موسيقى الشعر: 19.

هـذا التنويـع في الأوزان والقـوافي لغايـات دلاليـة تتعلـق بمعنى أو مضـمون القصـيدة، ثـم تجسـد العلاقـة الفنيـة بـين المفـردات والتراكيب مروراً بالصورة الى الموسيقا فالدلالة.

والقـوافي التي اسـتخدمها النواسي في شـعره هـذا (الزهـد) تنوعـت بتنـوع القصـائد وموضـوعاتها فهي الـراء يليهـا الهـاء فـالميم فالحـاء فالكاف ثـم القـاف ثـم الألـف فـالنون وكان لتلك القـوافي دلالات معنويـة مجسـدةً مع موضـوع القصـيدة ومضـمونها العـام، فكانـت في عمومهـا تفضـي الى القـارئ بالعديـد مـن الإشـارات والرموز الصوتية التي تكشـف له سرَّ القصيدة ومعناها المكنون.

أمـا الأوزان والبحـور فقـد تنوعـت وتلونـت كـذلك فقـد اسـتخدم أبـو نـواس في شـعره الزهـدي عديـدة صـافيةً وتامـةً ومجزوءةً، وفيما يأتي سـنعرض جدولاً يوضح عدد البحور وعدد الأبيات والنسـبة المئويـة لكلِّ بحـر من هـذه البحـور علماً ان هـذا الجدول الإحصائي خاصٌّ بشعر أبي نواس الذي نظمه في الزهد:

ت	البحر	عدد الأبيات	النسبة المئوية
1	مجزوء الرمل	32	% 26,89
2	السريع	16	% 13,44
3	مجزوء الخفيف	14	% 11,76
4	البسيط	13	% 10,92
5	الوافر	13	% 10,92
6	الطويل	8	% 6,72
7	المنسرح	7	% 5,88
8	مجزوء الرجز	5	% 4,20
9	الكامل	4	% 3,36
10	المجتث	4	% 3,36
11	الرمل	3	% 2,52

فكان هذا التنوع في البحور والقوافي منفذاً من منافذِ الدراسةِ لشعر أبي نواس الزهدي من الناحية الفنية.

يقول[255] أبو نواس داعياً نفسه الى الوقار والرضا والصبر:

(255) ديوان أبي نواس: 310.

يـا نَـواسِـيّ تـَوَقـَرْ وتجمّـــــلْ وتصـــــبّرْ

ســـاءَكَ الـــدّهْرُبشـــيءٍ وبمـــا ســـرّكَ أكْثَـــرْ

يـا كبيـرَالـذنبِ عفـوُا للهِ مـــن ذنبِـــكَ أكْبَـــرْ

أكْبـرُالأشْـياءِ عـن أصْـ غَـــرِعَفْـــوِالله أصْـــغَر

لـــــيْسَ للإنســـــانِ إلاّ مـــا قضـــَى اللهُ وقـــدّرْ

لقد أفردَ أبو نواس لهذه المعاني التي دعا إليها في مقطوعته هذه بحراً خاصاً ناسب المعنى الدلالي الذي دعا اليه وهذا البحر هو مجزوء الرمل يتكون من تكرار " فاعلاتن " مرتين في كل شطر، ومجزء الرمل يعد من اكثر الأوزان التي نظم عليها أبو نواس شعره الزهدي إذ بلغت نسبته من بين مجموع البحور 26,9 % فهو بحر موسيقي عذب يصلح للغناء و "ذكر العروضيون في كتبهم ان قصائد هذا البحر ثلاثة أنواع، وزاد بعضهم نوعاً رابعاً فإذا استعرضنا ما روي من أشعار قديمها وحديثها لا نكاد نظفر الا بنوع واحد وهو ذلك الذي يتكون الشطر منه كما يلي: فاعلاتن + فاعلاتن"[256] ومنهم من ذكر أنها تأتي على صيغة " فَعِلاتن " وكلاهما حسنٌ جيدٌ تميل إليه الآذان وتستريح الى موسيقاه.

(256) موسيقى الشعر: 124.

والحق أبو نواس بقصيدته الزهدية لمحة موسيقية أخرى عبر منفذ الموسيقا فاستخدم التصريع في البيت الاول بما يضيف الى القصيدة نغماً موسيقياً جديداً، وكان للسكنات والوقفات التي وجِدت في مجزؤ الرمل دوراً رئيساً في إيصال الشهادات التي يريد أبو نواس إيصالها إلى نفسه ومن سواه.

أما القافية فلها في توهج النص الشعري أو الأدبي من حيث الموسيقا والنغم دور فعَّال فهي "مجموعة أصوات في آخر الشطر أو البيت وهي كالفاصلة الموسيقية يتوقع السامع تكرارها في فتراتٍ منتظمة وأقل عدد يمكن بل يجب تكراره من هذه المجموعة من الأصوات التي تُكَوِّن القافية هو حرف " الروي " وبه تعرف القصيدة من عينية ورائية ودلالة وسينية الخ.." [257].

وكما للمدلول والمعنى هدف يبلغه القارئ فالقافية تسجل في ذهنه طابعاً تأملياً إذ "أن المعاني صور ومشاهد، وان الإيقاع هو الموسيقا التصويرية التي تواكبها وتُتَوَّجُ بين فترةٍ وفترة بالقافية فهي وقفة موسيقية لابدَّ منها ليرتاح فيها القارئ وليجد متعةً في تأملاته المتتابعة للصور البيانية التي يعرضها الشاعر عليه متعاقبة متسلسلة وان المرء لا يجد مثل هذه الراحة أو المتعة في الشعر المرسل، فأنت في قصيدة من هذا النوع كالمحتار

(257) فن التقطيع الشعري والقافية، صفاء خلُّوصي: 215.

في وسط بيداء من المعاني أو في متاهة من الصور الزيتية التي لا تعرف مستهلها ولا منتهاها"[258]،ففي شعر أبي نواس الزهدي كانت القافية كذلك متنوعة ومتعددة فناسبَ إتيانها وموضوع القصيدة فحرف الراء هو من اكثر الحروف وروداً في شعر الزهد لأبي نواس.

أما في روي القصيدة العربية "فمعظم حروف الهجاء يجوز أن تأتي روياً ولكن ورودها على هذه الصورة يتباين من حيث الشيوع فأشيعها " الباء والدال والراء والميم واللام والنون وتليها الهمزة والتاء والجيم والحاء والسين والعين والفاء والقاف والكاف والياء" وأقلها شيوعاً بطبيعة الحال هي الضاد والطاء والهاء أما النادرة فهي الثاء والخاء والذال والزاي والشين والصاد والظاء والغين والواو"[259]، والراء أكثر الحروف ورودا في شعر أبي نواس الزهدي وهو من الحروف التكرارية إذ في إيحاء الحرف وصوته المتكرر صورة متكررة لدعواتِ أبي نواس لنفسه بان عفو الله اكبر من ذنب المذنبين وان أمر الإنسان بيد الله وحده فهو يقضي بأمره ويقدِّر.

(258) فن التقطيع الشعري والقافية: 220.

(259) م، ن: 215.

ويقول أبو نواس في قصيدةٍ أخرى جاءت على شاكلة موسيقية متناسقة عندما دعا الى عبادة الله وتقواه محذِّراً الغافلين من الموت وسرعة وقوعه فقد قال في تلك القصيدة[260]:

كُنْ مع الله يكن لك ... و اتقِ الله لعلكْ

لا تكن الا معداً ... للمنايا فكأنكْ

فعلى الله توكل ... وبتقواه تمسكْ

ان للموت لسهماً ... و اقعاً دونك أوبكْ

نحن نجري في تراكيـ ... ـبِ سكونٍ وتحُّركْ

في حليّ سوف تُبلى ... وقرى سوف تفككْج

ويقول في قصيدةٍ أخرى كان يجسد فيها عزوفه عن الدنيا وتركه لها داعياً بذلك كلَّ انسانٍ ان يتجنبَ التكبر والكبرياء وإتباع المنهج الحسن فما كان عليه لكي يغطي تلك المعاني كلَّها الا ان يلجأ الى بحرٍ متنوع التفعيلات متلاحم الأجزاء فيه أربع تفعيلات في كل شطرٍ ساعدت على هضم المعاني كلها وهو بحر البسيط الذي يتكون من " مستفعلن فاعلن " مرتين في كلِّ شطر، غيرَ ان التفعيلة الأخيرة لم ترِدْ في الشعر العربي على هذه

(260) ديوان أبي نواس: 666.

الصورة وإنما نراها في الشطر الاول (فَعِلُنْ) دائِماً الا إذا كان البيت مصرعاً فحينئذٍ يتبع الشطر الاول في نهاية ما تكون عليه الشطر الثاني، أما في الشطر الثاني فغالباً ما تتخذُ التفعيلة الأخيرة (فاعلن) احدى الصورتين (فعِلن أو فعْلن) وقد تصير التفعيلة (مستفعلن) مُتَفْعِلُنْ، والبسيط يقسم على قسمين في قصائده: قصائد تنتهي كلُّ أبياتها بوزن " فعِلن " وقصائد أخرى تنتهي أبياتها بوزن (فعْلن)[261] فيقول أبو نواس[262]:

لا تَفْرُغُ النّفسُ مِنْ شُغلٍ بدُنْياها

رأيْتُها لم يَنَلْها مَنْ تَمنّاهَا

إنّا لنَنْفَسُ في دُنْيا موليةٍ

ونحنُ قَدْ نكتفي منها بأدْناهَا

حذّرْتُكَ الكِبْرَ لا يعْلَقْكَ مِيسَمُه

فإنّهُ مَلْبَسٌ نازَعْتَهُ الله

(261) يُنظر: موسيقى الشعر: 71.

(262) ديوان أبي نواس: 931.

يـا بُـؤسَ جِلْـدٍ على عَظْـمٍ مُخَرَّقَـةٍ

فيـــه الخـــروقُ إذا كلمتَـــهُ تاهَـــا

يــرى عليــكَ بــهِ فضْــلاً يبــينُ بــهِ

إنْ نال في العاجِلِ السلطانَ والجاهَا

مُـثْنٍ على نفسِـهِ راضٍ بسيرتِها

كَـذَبْتَ يـا خـادِمَ الـدّنيا ومولاهَـا

إنّـي لأمقُـتُ نَفسـي عنـدَ نخوتِهـا

فكيـــفَ آمـــنُ مَقـــتَ اللهِ إيّاهَـــا

أنْـتَ اللّئـيمُ الـذي لـم تَعْـدُ هِمّتُـهُ

إيثَـــارَدنْيـــا إذا نادَتْـــهُ لَبّاهَـــا

يـا راكـبَ الـذّنْبِ قـد شـابتْ مَفارِقُـه

أمـــا تخـــافُ مـــنَ الأيـــامِ عُقباهَـــا

ونلاحظ التصريع في هذه القصيدة كيف أضاف إليها نغماً موسيقياً عذباً الى جانب تميز بحر البسيط بموسيقاه التي تغنى بها الشعراء والمغنون على الرغم من طول البيت الشعري وكثرة

التفعيلات المستخدمة فيه فهذه الموسيقا والإقرار الموضوعي الذي أقره الشاعر في قصيدته هذه.

والقافية هي الهاء ولا تكون الهاء روياً الا إذا توافر فيها احد الشرطين الاول: أن تكون اصلاً من أصول الكلمة وجزءاً من بنيتها وان كان مجيء هذا النوع من القصائد قليل الشيوع في الشعر العربي وذلك لان ورود الهاء في أواخر كلمات اللغة العربية قليلٌ غيرُ شائع، والثاني أن يسبقها حرف مدٍّ[263].

ويقول أبو نواس في قصيدةٍ أخرى[264]:

سبحانَ من خَلَق الخَلـ

ـقَ منْ ضعيفٍ مُهيْنِ

يَسُوقُه مِنْ قرارٍ

إلى قَرارٍ مَكِيْنِ

في الحُجْبِ شيْئاً فشيئاً

يحورُدونَ العيون

(263) يُنظر: موسيقى الشعر: 253.

(264) ديوان أبي نواس: 914.

حتـــــى بَـــــــدَتْ حركـــــاتٌ

مخلوقَـــــــةٌ مِـــــنْ سُـــــكونِ

يسبّحُ لله على انه خَلَقَ الإنسان من نطفةٍ فيسقه من قرار الأصلاب الى قرار الأرحام فاختار لهذه المعاني السامية بحرَ المجتث و "هذا البحر طربَ له الشعراء المحدثون فأكثروا من نظمه ولاسيما في مسرحياتهم ولا نكاد نعلم شيئاً عن هذا الوزن قبل عصور العباسيين حين بدأ الشعراء ينظمون منه مقطوعاتٍ قصيرةً أغلب الظن أنها كانت تلَحَّن ويغنى بها"[265]، وهو يتكوَّن من تفعيلتين في كل شطر هما: مستفعلن فاعلاتن[266]، ولا يعاب على هذه القصيدة انها متنافرة في مخارجِ أصواتها وتباعد مخارج الحروف فقد جاءت على جاءتْ على منزلةٍ جيدةٍ من التناغم الداخلي فيما بينها فقال: ويسوقه من قرارٍ، وأردف في الشطر الثاني: الى قرارٍ مكين،فهاهنا يفرض التناغم الصوتي بين الحروف نفسها ولا سيما بين الراء التي تكررت في قرارٍ وإنما أضاف هذا التكرار الى القصيدة كثيراً من التعابير الموسيقية الدالَّة.

(265) موسيقى الشعر: 115.

(266) م، ن: 115.

أمَّا مجزء الخفيف فقد وردتْ فيه قصيدةٌ لأبي نواس تناولَ فيها موضوع الموت والاعتبار والدنيا والآخرة والمصير، فقد قال[267]:

يا بنيَّ النقص والعبرج ... وبنيَّ الضَعف والخورْ
أين من كان قبلكم ... من ذوي البأسِ والخطرْ؟
سائِلوا عنهم المدا ... ئنَ واستبحثوا الخبرْ
سبقونا الى الرحيـ ... ـل و أنا على الاثرْ
فمن مضى عبرةٌ لنا ... وغداً نحن مُعتبَرْ
ان للموت اخذةً ... تسبق اللمحَ بالبصر
فكأنّي بكم غداً ... في ثيابٍ من المدرْ
قد نقلتم من القصو ... رِالى ظلمة القبرْ

وقد "ذكرَ أهل العروض أن لقصائدِ مجزوء الخفيف انواعاً ثلاثة مثلوا لكلٍّ منها ببيت واحدٍ من الشعر فإذا استعرضنا ما رويَ من أشعارٍ قديمةٍ وحديثة لا نكاد نرى لهذا البحر الا نوعاً واحداً تبعه كل الشعراء والتزموه جميعاً لا فرقَ بين المحدثين والقدماء وهذا النوع هو ان يتكون شطر البيت كما

(267) ديوان أبي نواس: 325.

يلي: فاعلاتن + مُستَفْعِلُن"[268]، فقد كان لابد أن تتجسد تلك الضروب من المعاني المنوعة في القصيدة في هذا البحر الذي نجد التنوعَ حاضراً في بناء تفعيلاته التي تنوعت فأثرت سلباً على الموسيقا والتناغم داخل البيت الشعري التي تنشأ من توافق التفعيلات وعلى الرغم من استخدام التصريع في البيت الاول فان مجزؤ الخفيف أقلُّ في نتاغمه وموسيقاه مما هو موجود في المجزؤات الأخرى كمجزؤ الوافر أو مجزؤ الرمل أو مجزؤ الكامل أو مجزؤ الرجز.

في حين نجد الشاعر يعزف لوحةً موسيقيةً فريدة كان التناغم الداخلي فيها رائعاً في الاتساق والتلاحم، فمن خلال الموقف الذي تبناه شاعرنا أبو نواس في القصيدة وهو الداعي الى المعروف والناهي عن المنكر تولدت كتلة موسيقية كانت قاعدتها منسوجةً من خيوط بحر الوافر ذلك البحر الذي تميل اليه الآذان الموسيقية وتطرب له إذ هو حسن الموسيقا تستريح له الآذان و تطمئن اليه النفوس عند السماع أو الإنشاد، إذ يقول أبو نواس[269]:

(268) موسيقى الشعر: 121.

(269) ديوان أبي نواس: 897.

أيـــا مـــن بـــينَ باطيـــةٍ وزَقِّـــج

وعـــودٍ فـــي يـــديْ غـــاوٍ يغنـــي

إذا لـــمْ تنـــهَ نفسَـــك عـــن هواهـــا

وتحسِـــن صـــونها فإليـــك عنِّـــي

فـــانِّي قـــد شَـــبِعتُ مـــن المعاصـــي

ومـــن لـــذّاتِها وشَـــبِعْنَ منِّـــي

ومـــن أســـوأ و أقـــبح مـــن لبيـــبٍ

يـــرى متطرِّبـــاً فـــي مثـــلِ سِـــنِّي

إذ أضفت كثرة التنوين في هذه الأبيات إلى جو القصيدة بموسيقا شفافة تدعم انسجام الحروف والأصوات وتلاحمها فيما بينها فقد قال: تحسن صونَها فناسب تقارب النون وانسجام السين والصاد ما ولَّدَ نغما داخلياً عذباً، والتفعيلة تنتهي بالواو وإذا هي قد تكونت من عدةِ أصوات متناسقةٍ متلاحمةٍ منسجمةٍ فيما بينها وحتى على مستوى المدود فقد توزعت بين أبيات القصيدة الواو والياء والألف بما يدعم تناغم البحر الوافر وقوة تأثيره في المقابل عن طريق تدعيم الجانب الإيقاعي فيه.

ويقول في قصيدةٍ أخرى[270]:

يـــا ســـائلَ اللهِ فـــزتَ بـــالظَّفَرِ

وبـــــالنَوالِ الهنـــيّ لا الكـــــدِرِ

فارْغـــبْ إلـــى اللهِ لا إلـــى بشـــرٍ

منْتَقِـــلٍ فـــي البِلـــى وفـــي الغِيَـــرِ

وارْغَـــبْ إلـــى الله لا إلـــى جسَـــدٍ

منْتَقِـــلٍ مـــن صِـــباً إلـــى كِبَـــرِ

إنّ الّـــــذي لا يخيـــــبُ ســـــائلُه

مُبـــــاينٌ للشَّـــــخُوص والصُّـــــوَرِ

وجاءت هذه القصيدة من بحر المنسرح و "هذا البحر الثاني الذي أبى معظم الشعراء النظم فيه أو يستريحوا إليه أو الى موسيقاه فقد ورد في الشعر الحديث من هذا البحر الشيء القليل ولعل الذين حاولوا منهم انما أُعجبوا بقصائدَ معيَّنةٍ قالها القدماء من هذا الوزن فنسجوا على منوالِها ولعلهم وجدوا في النظم فيه عنتاً ومشقةً ونحن حين نقرأ قصائده لا نكاد نشعر بالانسجام في موسيقاه وتخيَّل إلينا أن الوزن مضطرب بعض

(270) م، ن: 425.

الاضطراب"[271] ولم يكن أبو نواس على الرغم من شاعريته وثقافته اللغوية الواسعة مختلفاً أو بارزاً في الإجادة في النظم في هذا البحر إذ أن قصيدته هو الآخر التي نظمها على هذا البحر كانت وبدعوة اضطراب الوزن مضطربةً غيرَ متناسقة التناغم على الرغم من استخدامه التصريع في بيته الاول في هذه القصيدة.

فهكذا جاءتْ أغلب القصائد التي نظمها أبو نواس في الزهد تحمل موسيقا جميلةً وانسجاماً في نظام الأصوات والحروف وإنما كان ذلك الانسجام لاستخدام أبي نواس العديد من الفنون الموسيقية البلاغية كالتصريع والتكرار واستخدام البحور المجزوءة التي تتميز عن التامة بأنها تصلح للغناء والإنشاد لما تحمل من ايقاعاتٍ موسيقيةٍ رنَّانة، فضلا عن انه جسَّد وسخر القوافي في خدمة الموضوعات والمعاني الدلالية ولاسيما الراء والهاء والنون والكاف، ولمْ تكن ثقافة أبي نواس اللغوية الواسعة بمعزل عن الأسباب التي أدَّتْ الى توليد الطاقات الموسيقية في شعر أبي نواس عموماً وشعر الزهد خصوصاً.

فكان تفوُّق جانب الموسيقا على الصورة واضحاً في شعر أبي نواس هذا إذ لعبت المعاني والموضوعات دوراً بارزاً في تبسيط

(271) موسيقى الشعر: 147.

وتسهيل الصورة الشعرية ما أدى بها الى المباشرة وأدتْ دوراً آخراً في ارتفاع حدة الموسيقا الداخلية والخارجية وفي تفاعلها معها لتشكِّلَ في القصيدةِ تلاحماً موسيقياً تألفه الأسماع.

الخـــاتمة

إنَّ الـتكهَّنَ في حقيقـةِ أمـرٍ معـين في ظـل أجـواء وجوانـبَ معتمةٍ لا تتضح فيها الرؤية يكون صعب المنال والعكس صحيح إذ أن اتضاح الرؤية والبيان والوصول الى أبعادٍ محجوبة في أمرٍ ما تجعل الحكمَ عليه شاملاً عادلاً منطقياً لا يجنح عن الصواب ذلك أنه يقوم على وفق معطيات ودلالات حقيقية تشكِّل البنية الأساسية لذلك الأمر ومن ثَمَّ الوصول الى رؤيةٍ كاملة شاملة تتمثل في تصوّرٍ دقيق يحيط بكل جزئية من جزئيات الأمر نفسه ، وكذا يكون أبو نواس وشعره الزهدي الذي شككَ من شككَ في صحةِ نسبته اليه وصحة المشاعر والأحاسيس التي صورها في شعره هذا .

ولعلَّ التوفيق والسداد في الوصول الى رؤيةٍ مطلقة خاصة بحقيقة زهد النواسي لؤلئك الذي شككوا في حقيقة زهده وفي صدق مشاعره لم يكن حاضراً معهم ورؤيتهم المقتضبة المجتزأة فقد بنى أولئك الذين نسفوا ما لأبي نواس من شعر زهدي تصوراتهم على معطيات أحادية المأخذ، فراحوا ينهلون من سيرة أبي نواس في صباه وشبابه وما فيها من مجون وخلاعة وعبث فما كان عليهم الا أن ينكروا وبشدة كلَّ ما لهذا الشاعر من شعر جاء في الزهد والتنسُّك من الدعوة ال فعل الخير والتوبة والصفح

والعفو وذكر الموت والتدبُّر في خلق الله ذلك أن الحكم لم يكن عاماً شاملاً بل تناول جانباً من جوانبِ حياة أبي نواس في إغفال جوانبَ أخرى من حياته نفسها .

ولكن أبا نواس كان حازماً ذكياً في مواجهة الاتهامات التي يوجهها اليه بعض الناس كاتهامه بالزندقة وسرقة الأشعار ومحاولة سلخ الأشعار الزهدية التي نظمها عنه فكان في كلِّ مرةٍ يثبت لمن يريد له ذلك بأنه مؤمن بالله تبارك وتعالى وأنه مسلمٌ متيقِّن مدرك تمام الإدراك أن الذنوب كلها لا يمكن أن تحضَ بمجرد المقارنة بمغفرة الله الواسعة التي وسعت كلَّ شيءٍ فنجده ينظم أشعاراً لا يمكن بأيِّ شكلٍ من الأشكال إغفال ما فيها من مشاعرَ حقيقية لإنسان مؤمنٍ حقَّ الإيمان بحقيقة المغفرة والعفو والصفح بعد التوبة والاستغفار والعودة الى المسلك الصالح ونور الهداية .

ولعلَّ ما كان يتبادر في ذهن أبي نواس من تصورات وانطباعات إيمانية حقيقية عن التوبة والغفران والصفح كان نتيجةً لمعرفةٍ دقيقةٍ بحقيقة الدين الإسلامي ومبادئه السامية من جهة والإيمان بكتاب الله المنزَّل وما فيه من أحكام وتشريعات روحانية من جهةٍ أخرى فقد كان أبو نواس يجنح عادة الى المحاججة والتبرير عندما يعترضه أحدٌ يعضه فيقرأ عليه ما جاء

في كتاب الله عز وجل من آيات قرآنية توحي بأن الله يغفر الذنوب جميعا الا من أشرك به وان الله يتوب على عبده الضال المسكين الذي لا يمكن أن تحظى ذنوبه ومعاصيه بمجرد المقارنة بالمغفرة الواسعة والرحمة الربانية التي توعَّد الله تبارك وتعالى عباده بها وان تلك الذنوب التي يقترفها الإنسان انما هي ذرة في فلاة الغفران فلربما كان أبو نواس جاداً في حقيقة تيسير تلك الدلالات البيانية ما أخذ يسلك مسلك المؤمن العاصي ! الصادق الآمل في عفو ربِّه الكبير ومغفرته الواسعة التي وسعت كل شيء.

والحقُّ أن كلَّ ما يمكننا قوله في حقيقة زهد أبي نواس أنه تزهَّد وتنسَّك وتاب وآب الى مسلك الرضا والصلاح فنجد له شعراً إسلامياً تتعدد في المعاني والمضامين صوَّر فيه مشاعرَه تصويراً صادقاً وعبَّر بهِ عنها تعبيراً موثوقاً عن الحقيقةِ التي كان يؤمن بها فتشكَّلَ شعرُه هذا وتلوَّن بألوان دعواه الزكية فنجده يذكر الموت ويطيل الوقوفَ عليه إذ كان لأبي نواس في شعره الزهدي هذا وقفة متأملة في حقيقة الموت والفناء ولعل ما دفع بالنواسي الى الحديث عن الموت بهذه الكثافة هو طبيعة هذا المعنى وما فيه من تدبير ووقار وعظة وعبرة لمن تعنيه العبرة فكان يجنح الى اسلوب التذكير والترغيب والترهيب في معنى الموت بغيةَ إصلاح الشأن والنجاة من النار والفوز بنعيم جنةٍ عرضها السموات والأرض وإيضاح قيمة الحياة الدنيا مقارنةً بالآخرة ، فكان يذكر

الموت تارةً الدعوة الى العمل الصالح وترك الذنوب والمعاصي تارةً أخرى كما كان يدعو الى التدبر والتفكر في خلق الله والتأمل في خلقه وتصويره ويدعو الى الوقار والرضا والصبر والعبادة والطهارة فهذه المعاني والمضامين المتنوعة التي تلوَّن بها شعر أبي نواس الزهدي إنْ كانت في حقيقتها تدل على شيء فإنما تدل على صدق العاطفة والتعبير وحقيقة المشاعر الفياضة التي تبنَّاها أبو نواس وجسدها فيه فكان شعره الزهدي شاملاً مطلقاً تناول مضامين ومعاني متعددة ما يدل على أنه كان أيضاً على دراية وبينة من أمور دينه ودنياه وأنه انما صوَّر في تلك الأشعار مشاعره الصادقة الحقيقية رغبةً منه في أن يستشعر بحلاوة الإيمان ولذة الروح الإيمانية .

كما أن ابرز ما يمكن أن يقال في المزية الفنية التي تميز بها شعر أبي نواس الزهدي أنه عمد الى اتباع أسلوب أو طريقة سهلة سلسة مبسطة في التعبير والصياغة فلم يعمدْ أبو نواس في طريقة نظمِهِ إلى إعاقةِ إيصال المعاني الروحيةِ التي بثَّها في شعره الزهدي بالكثير من المعوقات والمشتتات الدلالية التي ما أن تفي بغرضها الفني الجمالي الا تضع أمام اكتشاف المراد والدلالة حواجز فنية ولعل الإكثار من المحسنات البديعية يضع من القيمة الجمالية للنص ومن ثم الفتور في غاية النظم والابتعاد عن الهدف أو الدلالة ، وكان أبو نواس يختار ألفاظا

سهلة مفهومة متناسقة منتظمة يتخللها إيقاع موسيقي جميل لم يبتغِ منها سوى إيصال الدلالة والتلويح بالمعنى الحقيقي بعيداً عن الإغراق بالمحسنات البديعية واللفظية.

إلا أن هذا الأسلوب الذي اتبعه أبو نواس في شعره الزهدي كان مثلما وقاه من التزويق اللفظي والبديعي أوقعه في دوامةٍ أخرى ذلك أن شعر أبي نواس الزهدي كان أقل حظاً من الموضوعات التي نظم فيها أبو نواس كالغزل والخمرة والمديح والمذكرات والطرد من الناحية الفنية الإبداعية فلم يستعمل أدواته البلاغية الإبداعية التي اعتاد الكثيرون على التماسها في الموضوعات الأخرى التي نظم فيها كتبادل وظيفة الحواس ووصف المشبهات فكانت تلك المعاني التي جاءت في زهده أقل من حيث المستوى الفني من بقية الموضوعات الشعرية التي نظم فيها ، وربما يعود ذلك الى مجموعة من الأسباب منها أن أبا نواس قد قال أثر شعره الزهدي وقد طعن في السن أي في أخريات حياته على الرغم من أن بعض قصائده قد قيلت في أيام صباه وشبابه أي أثناء مجونه وعبثه كما أن حاجة أبي نواس الى أن يثبت للناس الرؤية الدينية التي يؤمن بها وانه مسلم كبقية المسلمين كانت أكبر من حاجته ليثبت لهم براعته في النظم لا سيما أنه كان معروفا عند أكثر الناس بالملكة والإبداع والمستوى الفني الرفيع الذي تميزت به أشعاره كما أن طبيعة الشعر الإسلامي

الـدعوي بشـكل عـام وشـعر الزهـد بشـكلٍ خـاص تفـرض على الشاعر أو الناظم صيغةً معينة في النظم ينبغي عليه أن لا يحيد عنها تجعل منه أكثر التزاماً في تصوير مشاعره الحرة أي أن هذا الصيغة من النظم الخاصة بالشعر الإسلامي وأشعار الزهد تحجب بوجه الشاعر منافذ القول التي تصنع من العمل صرحاً فنياً متناسقاً على خلاف ما موجود في الموضوعات الأخرى كالغزل والخمرة والوصف والمديح وحتى الرثاء وهذا لا يعني أن شعر أبي نواس الزهدي قد خلا من الميزات فنية إذ أن صدق المشاعر التي أودعها أبو نواس في شعره هذا أسهم بشكل كبير في رفع المستوى الفني لـذلك الشـعر ورقي إيقاعـه وألفاظـه وتراكيبـه والصـور البيانية التي جاءت فيه.

وفي نهاية الأمر ينبغي أن نعلم بأنه مثلما كانت هنالك أدلة جازمة تثبت بأن أبا نواس في أثناء شبابه وصباه كان ماجناً خليعاً عابثاً توجـد أدلـة أخـرى تثبـت لنـا بـأن الإنسـان ذاتـه أصـبح في أخريات حياته زاهداً متنسكاً داعياً الى الخير ناهياً عن المنكر آملاً في عفـو ربّـهِ ورضـوانهِ وصـفحهِ عنـه إلا أن عبـث هـذا الزاهـد ! ومجونه وخلاعته في أيام صباه وما أثر عنه من أشعار في الغزل والخمـرة والطرد والمجـون كـوَّن لـدى النـاس عنـه صـورةً إباحيـة (سافرة) لا تكاد تلتقي بأي شكلٍ من الأشكال مع الزهد أو الورع أو التنسك أو التصوّف ما أدى في نهاية الأمر إلى أن تلك الأشعار التي

أجاد فيها أبو نواس أيمة أجادةٍ في التعبير عن عواطفه وروحه الصادقة وإعلان التوبة وطلب المغفرة لم تكن قادرة على أن تكسي أبا نواس ثوباً جديداً يخالف ما كان يرتديه في أيام صباه أي أن هذه الأشعار لم تنجح في أن تجعل من أبي نواس زاهداً مشهوراً بزهده ولم تشكِّل عنده ظاهرة أدبية ملحوظة كما هو الحال مع أبي العتاهية الذي تزهد وكان زهده علامةً شكلت ظاهرة واضحة المعالم في سيرته وشعره وحياته .

هذا وأحمدُ اللهَ حمداً كثيراً يوافي نعمه وفضله والصلاة والسلام على سيدنا الأمين " محمد " وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين.

المصادروالمراجع:

1. أبو نواس بين التخطي والالتزام، د. علي شلق، الطبعة الأولى، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1982.
2. أبو نواس بين العبث والاغتراب والتمرد ، د. أحلام الزعيم، الطبعة الأولى، دار العودة، بيروت، 1981.
3. أبو نواس في التحليل النفسي والتاريخي ، عباس محمود العقاد، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت، 1968.
4. أبو نواس في تاريخه وشعره ومباذله وعبثه ومجونه، أبن منظور المصري صاحب اللسان، إشراف وتصحيح: عمر أبو النضر، دار الجيل، بيروت، 1975.
5. أبو نواس ومشاهير الأدب، الياس عشِّي، الطبعة الأولى، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1973.
6. اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ، د. محمد مصطفى هدارة، دار المعارف، مصر، 1963.
7. أخبار أبي نواس، أبو هفان المهزمي، مكتبة مصر، 1953.
8. الأدب العربي في العصر العباسي، د. ناظم رشيد، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، 1989.

9. البحر الرائق شرح كنز الدقائق، زين الدين ابن نجيم الحنفي، الطبعة الثانية، دار النشر: دار المعرفة، بيروت.
10. البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء، دار النشر: مكتبة المعارف – بيروت.
11. البلاغة فنونها وأفنانها، د. فضل حسن عباس، سلسلة بلاغتنا ولغتنا، الطبعة الأولى، دار الفرقان، الأردن، 1985.
12. البلاغة والتطبيق، د. أحمد مطلوب و د.كامل حسن البصير ، الطبعة الأولى، مطابع مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، 1982.
13. البيان والتبيين، الجاحظ، تحقيق: فوزي عطوي، دار النشر: دار صعب – بيروت.
14. تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار النشر: دار الهداية.
15. تاريخ الأدب العباسي ، نيكلسون، ترجمة: صفاء الخلوصي.
16. تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان، الجزء الثاني نقله الى العربية الدكتور عبد الحليم النجار، دار المعارف، مصر، 1961.

17. تاريخ الأمم والملوك، أبو جعفر محمد بن جرير، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة.
18. تاريخ بغداد، أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997.
19. تطور الصورة في الشعر الجاهلي، أحمد الزواوي، مؤسسة حورس الدولية، 2005.
20. تفسير الجلالين، محمد بن أحمد و عبدالرحمن بن أبي بكر المحلي و السيوطي، الطبعة الأولى، دار الحديث، القاهرة.
21. التفسير النفسي للأدب، د.عزالدين إسماعيل، سلسلة علم النفس والحياة، دار العودة ودار الثقافة، بيروت.
22. تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، الطبعة الأولى دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - 2001.
23. حديث الأربعاء ، د. طه حسين، مطبعة البابي، مصر، 1937.
24. الحيوان، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، 1996.
25. ديوان أبي العتاهية، دار صادر، بيروت، 1980.

26. ديوان أبي نواس، تحقيق: احمد عبد المجيد الغزالي، مطبعة مصر، القاهرة، 1953.

27. ديوان أبي نواس، شرح وتحقيق سليم خليل القهوجي،دار الجيل، بيروت، 2003.

28. ديوان المعاني، الإمام اللغوي الأديب أبو هلال الحسن بن عبد الله بن مهران العسكري، دار النشر: دار الجيل، بيروت.

29. ديوان جرير، شرح: حمدو طمَّاس، الطبعة الثانية، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2005.

30. الزندقة والشعوبية في العصر العباسي الاول، حسين عطوان، دار الجيل، بيروت.

31. الزهد، الإمام الزاهد هنَّاد بن السري الكوفي، مطبعة الدوحة الحديثة، قطر، 1978.

32. الزهد الكبير، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله البيهقي، تحقيق: عامر أحمد حيدر، الطبعة الثالثة، دار النشر: مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، 1996.

33. الزهد والرقائق، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي الخطيب، تحقيق: عامر حسن صبري، الطبعة الأولى، دار البشائر الإسلامية، بيروت،2000.

34. الزهد وصفة الزاهدين، أحمد بن محمد بن زياد بن بشر بن درهم أبو سعيد، تحقيق: مجدي فتحي السيد، الطبعة الأولى، دار النشر: دار الصحابة للتراث، طنطا، 1988.

35. زهديات أبي نواس ، علي الزبيدي، القاهرة، 1959.

36. زهر الآداب وثمر الألباب، أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني، تحقيق وشرح: محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة الرابعة، دار الجيل، بيروت، مكتبة المحتسب، عمَّان، 1972.

37. سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي دار الفكر، بيروت.

38. الشعر والشعراء، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، دار التراث العربي، بيروت، 1958.

39. الشعر والشعراء في العصر العباسي ، د. مصطفى الشكعة، دار العلم للملايين، بيروت، 1975.

40. الصورة الشعرية ونماذجها في إبداع أبي نواس، ساسين عساف، الطبعة الأولى، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1982.

41. الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، د. جابر احمد عصفور، دار الثقافة، القاهرة، 1974.

42. الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث، د. نعيم اليافي، اتحاد الكتاب العرب، د.ت.

43. الصورة الفنية في النقد الشعري، عبد القادر الرباعي، دار العلوم، الرياض، 1984.

44. الصورة الفنية في شعر أبي تمام، د. عبد القادر الرباعي، سلسلة الدراسات الأدبية واللغوية، الطبعة الأولى، أربد . الأردن، 1980.

45. الصورة النقدية معياراً نقدياً، عبد الإله الصائغ، الطبعة الأولى، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1987.

46. الصورة في شعر بشار بن برد، د. عبد الفتاح صالح نافع، دار الفكر للنشر، عمَّان، 1983.

47. طبقات الشعراء المحدثين، أبن المعتز.

48. العصر العباسي الاول، د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، 1977.

49. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، أبو علي الحسن القيرواني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة الرابعة، دار الجيل، بيروت، 1972.

50. العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د. مهدي المخزومي / د. إبراهيم السامرائي، دار النشر: دار ومكتبة الهلال.

51. فن التقطيع الشعري والقافية، د. صفاء خلوصي، الطبعة الثالثة، بيروت، 1966.

52. في الأدب العباسي، محمد مهدي البصير، الطبعة الثالثة، مطبعة النعمان، النجف الاشرف، 1970.

53. في الأدب العباسي الرؤية والفن ، د. عز الدين إسماعيل، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت.

54. في النقد الأدبي الحديث منطلقات وتطبيقات، د. فائق مصطفى و د. عبد الرضا علي، الطبعة الثانية، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، 2000.

55. القصيدة العربية الحديثة بين البنية الدلالية والبنية الإيقاعية، محمد جابر عبيد، مكتبة الأسد، دمشق، 2001.

56. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

57. لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت.

58. المحاسن والأضداد ، الجاحظ، شرح: يوسف فرحات، الطبعة الاولى، دار الجيل، بيروت، 1997.

59. مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، تحقيق: محمود خاطر، دار النشر: مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1995.

60. معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1991.

61. المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى و أحمد الزيات و حامد عبد القادر و محمد النجار، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة.

62. مناهج البحث البلاغي في الدراسات العربية، د. عبد السلام عبد الحفيظ، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي، مصر، 1978.

63. موسيقى الشعر، د. إبراهيم أنيس، الطبعة الخامسة، مطبعة الأمانة مكتبة الانكلو المصرية، دار الكتب، القاهرة، 1987.

64. النحو الوافي، عباس حسن، مكتبة الأحمدي، بيروت، 2007.

الرسائل الجامعية:

1. الصورة الفنية في شعر الصعاليك قبل الإسلام، عبد الجبَّار حسن علي الزبيدي، رسالة ماجستير، بإشراف: عبد الإله علي حمود الصائغ، كلية الآداب، جامعة الموصل، 1988.
2. الصورة الشعرية عند شوقي، ثائر محمد جاسم الجبوري، رسالة ماجستير، بإشراف الدكتور داود سلُّوم، كلية الآداب، جامعة بغداد، 1987.

الدوريات:

المجلات:

1.{ (ما) في شعر المتنبي، د. هادي الحمداني }، جامعة المستنصرية، السنة الرابعة، العدد الرابع، 1974.